حَديث المَسَاء



أدهم شرقاوي

" قس بن ساعدة "

حديث المساء

نصوص

أدهم شرقاوي / قسّ بن ساعدة



٢٠١٦

الإهداء

إلى أحمد بيسان
حارسُ الحرف في دار كلمات
الجنديّ المجهول الذي يُقاتل بشراسة لتكون الكُتب!
العربيّ كصحراء نجد ، كبُنّ عدن ، كمكتبات بغداد . . .
كنخل مصر ، كمآذن القدس!



الحذاء!

يُحكى أنّ شيخاً عالماً
كان يمشي مع أحد تلامذته في الحقول الواسعة
وأثناء سيرهما شاهدا حذاءً قديماً
وكان الحذاء لفلّاح خلعه ليريح قدميه أثناء تناول زاده
التفتَ التّلميذ إلى شيخه وقال :
تعال نُخبّيء حذاء هذا الفلاح وننظر ماذا يفعل
فأجابه الشّيخ الجليل :
يا بُنيّ يجب أن لا نُسلّي أنفسنا على حساب الفقراء
أنتَ غنيٌّ ويمكنك أن تسعد بطريقة أخرى
ما رأيكَ لو تضع قليلاً من المال في الحذاء
ثم نختبيء وننظر إلى ردّة فعل الفلّاح
أُعجب التلميذ باقتراح شيخه
وقام على الفور بوضع المال في الحذاء
واختبأ وشيخه خلف الأشجار ليرقبا ردة فعل الفلّاح
وبعد دقائق عاد الفلّاح لينتعل حذاءه
وإذا به يتفاجأ بشيء داخله
مدّ يده وأخرج المال
وقام بنفس الشّيء في فردة الحذاء الأخرى
وأخرج المال أيضاً

فجثا على ركبتيه ورفع يديه إلى السّماء وقال :
أشكرك يا رب لأنك علمتَ أنّ أولادي جوعى
هذا مال يكفي لشراء طعام وفير
عندها التفتَ الشّيخ إلى تلميذه وقال له :
ألستَ الآن أكثر سعادة مما لو فعلتَ اقتراحك الأوّل؟!

.

.

الدّرس الأوّل:

البسطاء ليسوا مادّة للسّخرية
فالله لم يخلق فقيراً عن فقر منه
ولم يخلق قبيحاً عن عجز منه
ولم يخلق مريضاً عن وهن منه
تعالى سبحانه عن هذا علوّاً كبيراً
ولكنّها أرزاق وزّعها الله كيف شاء
فإن أعطى المال فعن غنى
وإن حرم منه فعن غنى
وإن خلق جميلاً فعن قدرة مطلقة
وإن خلق قبيحاً فعن قدرة مطلقة
ونحن عندما نسخر من فقير أو قبيح
إنما نتهم الله بسوء الصنعة ونحن لا ندري
هذه المواقف لا ينفع فيها إلا الشكر على العافية
وكما وزّع الله الأرزاق بين النّاس

وزّع العقول أيضاً!
البعض بسطاء حدّ العجب
هؤلاء علينا أن نأخذ بأيديهم
ولا نجعلهم مادّة للتندر
يُروى أنّه في زمن موسى عليه السّلام
كان أحد البسطاء يعمل راعياً للحمير
فقال : اللهم لو كان لكَ حمارٌ لرعيته لكَ مع حميري!
فبلغ ذلك موسى عليه السّلام فغضب غضباً شديداً
فأوحى الله إليه
أن يا موسى إنّي أُحاسبُ النّاس على قدر عقولهم

الدّرس الثّاني:
انوِ الخير ولو لم تفعله
النّية هي التي تجعل من عمل صغير سُلّماً إلى الجنّة
وهي التي تجعل من عمل عظيم طريقاً إلى النّار
كان ابن سلول يُصلّي الفجر في المسجد
جماعةً خلف رسول الله صلى الله عليه وسلّم!
ولكن هذا العمل الجميل
كان وراءه نيّة خبيثة
لهذا هو في الدّرك الأسفل من النّار!
وبغيّ بني إسرائيل دخلت الجنّة بكلب سقته

هذا العمل البسيط
كان وراءه نيّة عظيمة
هي الشّفقة على مخلوق من مخلوقات الله
وأوّل من تُسعّر بهم النّار ثلاثة
شهيدٌ ، وعالمٌ بالقرآن ، ومُتصدّق!
أعمال عظيمة أفسدتها النّية
يُؤتى بالشّهيد يوم القيامة
فيسأله الله تعالى : ما عملتَ فيها؟
فيقول : قاتلتُ فيك حتى استشهدت
فيقول له الله : كذبتَ!
ولكنك قاتلت حتى يُقال جريء وقد قيل!
ثم يُسحب على وجهه إلى النّار
وأما العالم بالقرآن
فيقول له الله تعالى : ما عملتَ فيها؟
فيقول : تعلّمتُ العلم وعلّمته وقرأتُ فيك القرآن
فيقول له الله تعالى : كذبتَ!
ولكنّك تعلّمتَ ليُقال عالم وقد قيل
ثم يُسحب على وجهه إلى النّار
وأمّا المتصدّق
فيقول له الله تعالى : ما عملتَ فيها؟
فيقول : ما تركتُ من سبيل تُحبُّ أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ
فيقول له الله تعالى : كذبتَ!

وإنّما أنفقتَ ليُقال جوادٌ وقد قيل
ثم يُسحب على وجهه إلى النّار
النّية عمل قلبيّ لا شأن للجوارح فيه
ولكنّها إذا ساءت تُفسد عمل الجوارح
وإذا حسُنت بلغ صاحبها من الأجر مبلغاً دون عمل
ومما يُروى في قصص بني إسرائيل
أنّه قد حدثت مجاعة زمن موسى عليه السّلام
فنظر أحد الفقراء إلى الجبال وقال :
اللهم لو كان لي مثل هذا ذهباً لانفقتها في سبيلك
فأوحى الله إلى موسى عليه السّلام
أن يا موسى قل لعبدي أنّي قد قبلتُ منه صدقته
.
.
الدّرس الثّالث:
عندما تعطي ستكون أسعد مما تأخذ
في العطاء لذّة لا يعرفها إلا من أعطى من قبله
ونحن بحاجة لأن نعطي أكثر من حاجتنا أن نأخذ
حاجتنا إلى الصّدقة أشدّ من حاجة الفقير إليها
لأن الفقير يحتاجها للدّنيا
ونحن نحتاجها للآخرة!
وانظرْ إلى الدّنيا من حولك
أكثر الأشياء قيمة أكثرها عطاءً

قيمة الشجرة الحقيقية فيما تعطيه من ثمر
لا في هذا الجذع البُنيّ المغروس في التّراب
مع أنّه نهاية المطاف يصير عطاءً
قيمة الغيم في المطر الذي يسقيه
وفي الظّل الذي يمنحه
قيمة الشّمس الحقيقية في الضّوء الذي تعطيه
وفي الدّفء الذي تمنحه
قيمة العلماء في الخير الذي يعلمونه للنّاس
لا في كبر العمامة ولا طول اللحيّة
عندما تعطي من قلبك يستحيلُ العطاء لذّة
ويصبح الكرم عندك ثقافة
مشكلتنا الكبرى أننا نُفكّر دوما أن نأخذ
نسأل عن حقوقنا
ولا نسأل عن واجباتنا
نسأل ما الذي قدّمه الآخرون لنا
ولا نسأل ماذا قدّمنا للآخرين
مع أنّ الطريقة المثلى لأخذ حقوقنا
هي أن نعطي واجباتنا أولاً
.
.



الدّرس الرّابع:

العطاء الحقيقيّ ليس في المال فقط
والحرمان الحقيقيّ ليس في المال فقط
هذا تسطيح لمفهوم العطاء
وتبسيط ساذج له!
هناك عطاء أثمن قيمة من المال
دعوة في ظهر الغيب عطاء
وذكر في السّجود عطاء
وكظم الغيظ عند الغضب عطاء
والعفو عند المقدرة عطاء
تحمّل أخطاء الآخرين عطاء
حاجتنا لمثل هذا أشدّ من حاجتنا إلى المال
أحياناً لا نريد في لحظة حزن أكثر من ضمّة
ولا نريد في لحظة انكسار أكثر من لمسة حانية
ولا نريد في لحظة حاجة أكثر من دعاء
ولا نريد في لحظة قلق أكثر من اهتمام
الأشياء بقيمتها لا بأثمانها
وأغلى الأشياء في الدّنيا لا أثمان لها
كم هو ثمن ابن بار؟!
كم هو ثمن دعاء أم؟!
كم هو ثمن زوجة صالحة؟!
كم هو ثمن زوج حنون؟!

كم هو ثمن أبٍ شفيق؟!
كم هو ثمن صديقٍ وفيّ؟!
هذه الأشياء لا أثمان لها لأنها لا تُشترى
وبدونها نحن فقراء ولو ملكنا مال العالم أجمع

.

.

الدّرس الخامس:
كُن راقياً في تفكيرك
حتى إن تعلّق الأمر بحذاء
سُرق حذاءٌ لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه
فقال: اللهم إن كان محتاجاً فبارك له فيما أخذ
وإن لم يكن محتاجاً فاجعل هذا آخر ذنبٍ يذنبه!
يا للرّقي يا ابن مسعود، يا للرقيّ
وكان غاندي الزّعيم الهنديّ الشّهير
يركض خلف القطار ليلحقه
وعندما صعد سقطتْ فردة حذائه
فخلع الأخرى ورماها
فلمّا سُئل: لمَ فعلتَ هذا
قال: أحببتُ أن يجدهما فقيرٌ معاً فينتفع بهما!
يا للرقيّ يا مهاتما، يا للرقيّ
شخصيّاً أفهم أن يكون الإنسان راقياً

ولو اعتنق ديناً خاطئاً
ولا يمكنني أن أتفهّم كيف يعتنق الإنسان ديناً صحيحاً
ولا يكون راقياً



الرّسام

عاش رسّامٌ فقير في قرية صغيرة
وكان يرسمُ لوحاتٍ في غاية الجمال
ويبيعها بسعرٍ مرتفع
وفي يوم من الأيام أتاه فقيرٌ وقال له
أنتَ تكسّبُ مالاً كثيراً من بيع لوحاتك
لماذا لا تساعد فقراء القرية؟!
انظر إلى الجزّار في قريتنا
رغم أنّه لا يملك مالاً كثيراً
إلا أنّه يُوزّع على الفقراء لحماً مجانياً كلّ يوم
لمْ يردّ عليه الرّسام بحرفٍ واحدٍ
وإنّما اكتفى بالابتسام
خرج الفقيرُ منزعجاً من عند الرّسام
وأشاع في القرية أنّ الرّسام ثريّ وبخيل
فنقم عليه أهل القرية
بعد مدّة مرض الرّسام العجوز
ولم يعره أحد من القرية اهتماماً
ومات وحيداً . . .
مرّت الأيام ولاحظ أهل القرية

أنّ الجزّار لم يعد يُوزّع اللحم على الفقراء
وعندما سألوه عن السبب قال :
كان الرّسام يعطيني المال لأوزّع اللحم على الفقراء
فلمّا مات انقطع المالُ فانقطع اللحمُ!

الدّرس الأوّل:
لا تكن سطحيّاً
ترى من الأمور ظاهرها فقط
فالبعض نبلاء في الخفاء
ومن فرط النّبل يزهدون أن يعرف الآخرون نبلهم
لاحظَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أنّ أبا بكرٍ رضي الله عنه يقصد طرف المدينة بعد كلّ صلاة فجر
فتبعه لينظر ماذا يفعل هناك فلعلّ خطباً حصل له
فوجده قد دخل بيتاً
ومكث فيه ساعة ثمّ خرج
وعندما تكرر الأمر علم عمر أنّ أبا بكر لا يصدر عنه إلا خير
فأراد أن يعرف سر أبي بكر
فطرق الباب فإذ هو أمام عجوزٍ عمياء
فسألها : ماذا يفعل هذا الرّجل عندكم؟
فقالت له : والله يا بُنيّ إنّي لا أعرفه
ولكنّه يحضر كلّ يوم فيظّف بيتي

ويطبخ طعامي ويغسل لباسي
وينصرف دون أن يكلّمني
عندها قال عمر قولته الشّهيرة :
أتعبتَ من بعدكَ يا أبا بكر!

الدّرس الثّاني:
ما لكَ وللنّاس؟!
يكفي أن تعرف نفسكَ
منذ متى كانت أحكام النّاس عادلة
النّاس إذا أحبّوا شخصاً جعلوا عيوبه مزاياه
وإذا كرهوا شخصاً جعلوا حسناته رزاياه
ويوم أرادوا أن يطردوا آل لوطٍ من قريتهم
ولم يجدوا لهم ذنباً مقنعاً
اتهموهم بالطّهارة!
«فما كان جواب قومه إلا أن قالوا : أخرجوا آل لوطٍ من قريتكم إنّهم أُناس يتطهّرون»
أهذا ذنبٌ يُطرد فيه المرء لأجله من قومه؟!
النّاس رموا العفيف يوسف عليه السّلام بالزّنا
ورموا المؤمن إبراهيم عليه السّلام بالكفر
ورموا الصّادق الأمين محمد صلى الله عليه وسلّم بالسّحر والكذب
وإن كان هذا حال الأفّاكين

فمن الصّالحين أيضاً حدّث ولا حرج!
روى البخاريّ من حديث سهل بن سعد السّاعديّ
أنّه مرّ رجلٌ من فقراء المسلمين على النبيّ صلى الله عليه وسلّم
فقال لأصحابه : ما تقولون في هذا؟!
فقالوا : رجلٌ من فقراء المسلمين
هذا والله حريٌ إن خطب أن لا يُزوّج
وإن شفع أن لا يُشفّع
ثمّ مرّ رجلٌ آخر من الأشراف
فقال سيّد النّاس : ما تقولون في هذا؟!
فقالوا : رجلٌ من أشراف القوم
هذا والله حريٌ إن خطب أن يُزوّج
وإن شفع أن يُشفّع
فأشار النبيّ صلى الله عليه وسلّم بيده إلى الأوّل وقال :
والله هذا خير من ملء الأرض من هذا!

.

.

الدّرس الثّالث:
قالت العربُ قديماً : إرضاء النّاس غاية لا تُدرك
وهذا من أعقل ما قالته العرب
مهما كنتَ محبوباً ستجد من يكرهك
ومهما كنتَ ناجحاً ستجد من يقلل من قيمتك
ومهما كنتَ تقيّاً ستجد من يشكك في تقواك

إذا أحسنتَ إلى زوجتك

قالوا : خروف!

إذا أحسنتَ إلى والديك

قالوا : أرنب!

إذا تنازلت عن حقّ لك

قالوا : جبان!

إذا طالبت بحق لك

قالوا : عدواني!

إذا التزمتَ بدينك

قالوا : متزمّت!

إذا التزمتِ بحجابكِ

قالوا : جاهلة بالموضة!

إذا أطعتِ زوجكِ

قالوا : شخصيّتها ضعيفة!

إذا زرتَ صديقاً

قالوا : له مصلحة!

إذا تصدّقت على فقير

قالوا : يُرائي!

إذا دافعت عن شخص

قالوا : يتملّق!

إذا لم تقبل رشوة

قالوا : لا يعرف من أين تُؤكل الكتف!

الدّرس الرّابع:

الأشياء الجميلة تكون في السّرّ أجمل

فالنّصيحة على الملأ فضيحة

والعِظة أمام النّاس جارحة

الصّدقة في العلن قد تجرح كرامة

ولكنّ صدقة السّرّ ترمم حاجة النّاس

فلا تفعل على الملأ معروفاً يمكن فعله في السّرّ

ولا تخف على حظّك

الورد يُشمُّ عطره ولو لم يتعمّد نشره

والشمس يُشاهد ضوؤها ولو كان الطّقسُ غائماً

والمطر يُرى أثره ولو لم يسقط على كل شخصٍ بعينه

والنّهر مشكور وهو يجري بصمت

والشّجر محمود وهو يُقطفُ غيلة!



حكمة عجوز!

في لقاءٍ تلفزيونيٍّ مع عجوزٍ
أمضتْ مع زوجها خمسين عاماً سعيدة
سُئلت العجوز عن سرّ سعادتها كلّ هذا العمر
هل هي المهارة في إعداد الطّعام؟
أم الجمال؟
أم إنجاب الأولاد؟
فقالت : السّعادة الزّوجيّة بعد توفيق الله بيد الزّوجة
فالمرأة تستطيع أن تجعل بيتها جنّة
وتستطيع أن تجعله جحيماً
لا تقولي المال
فكثيرات من النّساء الغنيّات تعيسات ويهربنَ من أزواجهنّ
ولا تقولي الجمال
فالكثيرات من الفاتنات تطلقن
ولا تقولي المهارة في إعداد الطّعام
فالكثيرات من الطّاهيات الماهرات حياتهنّ لا تُطاق
ولا تقولي الأولاد
فالكثيرات أنجبن وبقينَ تعيسات
فتعجّبت المذيعة وقالت لها : ما هو السّرّ إذاً
قالت العجوز : عندما يغضب زوجي ويثور

كنتُ ألجأ إلى الصّمت المطبق بكلّ احترام
مع طأطأة الرأس بكل أسف
وإيّاك والصمت المصاحب لنظرة السّخرية فالرّجل ذكيّ يفهمها
فقالت لها المذيعة : لماذا لا تخرجين من غرفتك؟
قالت العجوز : إيّاك ، فقد يظنّ أنّكِ لا تريدين سماعه
عليك بالصّمت والموافقة على كلّ ما يقول حتى يهدأ
بعد ذلك أقول له : هل انتهيتَ؟!
ثمّ أخرج لأنّه بحاجة إلى الرّاحة بعد هذا الصّراخ
فأخرجُ وأنهي أعمالي المرتبّة بكلّ هدوء
فقالتْ لها المذيعة : ماذا تفعلين بعدها؟
هل تلجئين إلى مقاطعته لمدّة أسبوع أو أكثر؟!
أجابت العجوز : إيّاك ، فهذه العادة سلاح ذو حدّين
عندما تقاطعين زوجكِ وهو بحاجة إلى مكالمتكِ سيعتاد على بعدك
وسيصبح عنيداً ويرفع سقف مطالبه
فقالت المذيعة : وماذا تفعلين بعدها؟
أجابت العجوز : بعد ساعة أصنع له كوباً من العصير أو فنجان قهوة
وأقول له : تفضّل اشربْ!
فيسألني : هل أنتِ غاضبة؟!
فأقول : لا
فيبدأ بالاعتذار ويسمعني كلاماً جميلاً
قالت لها المذيعة : وهل تُصدّقينه؟
قالت العجوز : طبعاً ، لماذا أصدّقه وهو غاضب ولا أصدّقه وهو هادىء؟

قالت المذيعة : وكرامتك؟!
فقالت العجوز : كرامتي برضى روحي والمحافظة على بيتي
أي كرامة يا ابنتي وقد تجرّدتِ أمامه من كلّ ملابسك؟!

.

.

الدّرس الأوّل:

فنّ الحياة هو أن نعرف كيف نحياها
مهم جداً أن يكون عندنا أسباب السّعادة
ولكن الأجمل أن تكون عندنا الإرادة لنسعد!
من جعل اهتمامه النظر في سيّئات شريكه
لن يكون لديه وقت ليرى حسناته
ومن جعل اهتمامه النّظر في حسنات شريكه
لن يكون لديه وقت ليرى سيّئاته
تختلفُ الأمور باختلاف نظرتنا إليها
والنّاس نوعان : نحلٌ وذباب!
النّحل لا يقع إلا على الرّحيق
والذّباب لا يقع إلا على قذارة
الأشخاص «النحل» يبحثون في الآخر عن سبب ليبقوا معه
والأشخاص «الذّباب» يبحثون في الآخر عن سبب ليخاصموه ويفارقوه
الحياة بعقليّة النّحل ممتعة
والحياة بعقليّة الذّباب مضنية
الفرق بينهما كالفرق بين أن يعيش المرء في حديقة أو في مزبلة!

الدّرس الثّاني:

يقول أحد الحكماء :

كما نترك بعض الأطعمة تبرد قليلا

ليسهل عليكَ تناولها

اتركْ بعض المشاكل تبرد قليلاً

ليسهل عليكَ حلّها!

اختيار التوقيت جزءٌ من الحلّ

لا يمكن جدال غاضب

فضلاً عن إقناعه أنّه على خطأ

اتركه يهدأ وقد لا تحتاج إلى إقناعه أنّه مُخطىء

البعض حين يستردّون هدوءهم يعودون لأصلهم الطيّب

ويحاولون أن يُصلحوا ما أفسدوا

والبعض عنيدون جداً حتى عندما يهدؤون يتشبّثون بأخطائهم

هؤلاء جدالهم أثناء المشكلة

يفاقم المشكلة وقد يؤدّي إلى مشكلة جديدة



الدّرس الثّالث:

الرّجل طفلٌ كبير

والأطفال لا تجدي معهم الشّاحنة!

عليكِ أن تستميليهم لتحصلي على ما تريدين

فلا تكوني صِداميّة ولا مُواجِهة

استميليه كما تستميلين طفلك
وبالمزاح وبلا جدل «حدّثيه على قدر عقله»!
لا يغرّك علمه وثقافته وتديّنه
هذه عوامل تساعدك لتعيشي معه حياة هانئة
ولكنّ الرّجال في الطّبع سواء
يكرهون المرأة العنيدة
ويحبّون المرأة الرقيقة التي تنزل عن حقّها
فلا تدعيه يُفقدكِ أنوثتكِ
ثم يكرهكِ لأنّكِ فقدتِها
المرأة على شكل رجل لا يطيقها الرّجال
يرضى الرّجل أن تفقد امرأته أي صفة
ويمكنه أن يتعايش مع هذا النّقص
ولكنّه لا يحتمل امرأة فقدتْ أنوثتها
أنوثتكِ أجمل مستحضرات تجميلكِ
فتشبّثي بها حتى الرّمق الأخير

.

.

الدّرس الرّابع:
صلاح البيت ليس بيد الزّوجة فقط!
بل هي مهمّة الزّوجين معاً
فانزل عن كبريائكَ قليلاً
ولا تكن مدللاً تريدها أن تصالحك كلّ مرّة

الرّجل الحنون الذي يبادر إلى الصلح يأسر المرأة
ولا شيء يفتن المرأة أكثر من رجلٍ حنون!
المرأة أيضاً مهما تثقّفت وتعلّمت وتديّنت تبقى في طبعها امرأة
تسعدها هدية ولو ملكت مال الدّنيا
وتسعدها كلمة حلوة بسيطة ولو كانت تكتب أجمل الأشعار
الحياة شراكة . . .
الإثنان فيها يغضبان والإثنان يُصالحان
ليست مهمة الرّجل أن يغضب
ومهمة المرأة أن تُصالحه
عليك أن تنتبه أنّها مخلوق حسّاس
ولكن لكلّ إنسان قدرة على التّحمل
فلا تستفزّها لتخرج أسوأ ما فيها
ثم تحاسبها على هذا السوء الذي أخرجته منها
وتذكّر دوماً أنّ الوردة رقيقة ولكن لديها أشواك
عليكَ أن تعرف كيف تتمتع برائحتها
دون أن يمسّك شوكها

.

.

الدّرس الخامس:
الخلافات الزّوجيّة شيء طبيعيّ في حياة أيّ زوجين
تفرضه هموم الحياة اليوميّة
وضغوطها الماديّة والجسديّة

وهذه الخلافات قد تكون مفيدة أحياناً لأنها تكسر روتين الحياة
ورتابتها
وهي كالملح في الطّعام!
القليل منه يضبطه والكثير منه يفسده!
فإذا وقع الخلاف فلنجعله فرصة لإعادة الحياة الزّوجية إلى طريقها
الصحيح
هناك كلام حلو لم نقله منذ مدّة هذا وقته
وهناك باقات ورود لم نشترها منذ مدّة هذا وقتها
وهناك حنان لم نخرجه منذ مدّة هذا وقته
البحرُ عندما يثور يلقي بالأعشاب والأسماك الميتة إلى الشّاطىء
ثم يهدأ ويعود أجمل مما كان!
فكونوا في خلافاتكم الزّوجيّة كالبحار
واستمعوا لما قيل لحظة غضب الشريك
في الغضب نكون في قمّة صراحتنا
فلتكن فرصة للتداوي لا لفتح جراح جديدة!

.

.

الدّرس السّادس:
لا بدّ من التجاهل أحياناً
وقد قالت العربُ قديماً : سيّدُ قومه المُتغابي!
ليس بالضرورة أن نقف على كلّ كلمة
وليس بالضرورة أن نكون حادّين عند كل تصرّف

أحياناً تعويت الأشياء أفضل من الوقوف عندها
والعاقل لا يبحثُ عن نصرٍ دوماً
هناك معارك يستوي فيها الرِّبح والخسارة
بل إن الخسارة تكون فيها أجمل
إذا كانت هذه الخسارة ستجعلنا نربح بيوتنا
وتذكَّروا دوماً أن البيت ليس ساحة حرب
عندما يقشل الزَّواج
لا يمكن الحديث عن منتصر ومهزوم
الزَّوجان إمّا أن ينتصرا معاً
أو ينهزما معاً
والعاقل يتكلّم إذا كانت نظرته تفي بالغرض
فلا تستخدم سيفك حيث يمكن أن تستخدم سوطك
ولا تستخدم سوطك حيث يمكن أن تستخدم لسانك
وهذا الكلام بالمعنى لا بالحرف
لا شيء يؤذي المرأة أكثر من أن تُضرب
المرأة ليست دابة وأنت لست سائس خيول
أنت زوجٌ وقوّام
قوّام بقلبك لا بيدك
قوّام بحنانك لا بعصاك
كُن لها عبداً تكن لكَ أمة
وكن لها جلاداً تكن لك سيّدة

الدّرس السّابع:

النّاس طباع

فافهم طبيعة شريكك وحاول أن تتكيّف معه

البيوت النّاجحة ليست كذلك لأنّها قائمة على التّشابه

ولكنّها ناجحة لأنّها قائمة على التّفاهم

سريع الغضب سيبقى كذلك مهما حاولت أن تغيّره

وبطيء الرّضا سيبقى كذلك مهما حاولت أن تغيّره

البخيل سيبقى بخيلاً

والكريم سيبقى كريماً

والشريك ليس ثياباً نخلعها إن لم يعجبنا شيء فيها

هذه ثياب للعمر كلّه

علينا أن نعمل جاهدين أو تبقى ساترة

خُذ القول ودَع القائل!

يُحكى أن رجلاً وجد أعرابياً
عند الماء فلاحظ الرجل حمل بعيره فسأله عن محتواه ،
فقال الأعرابي
كيس يحتوي على المؤونة
والكيس المقابل يحتوي تراباً ليستقيم الوزن في الجهتين
فقال الرجل :
لِمَ لا تستغني عن كيس التراب وتنصف كيس المؤنة في الجهتين
فتكون قد خففت الحمل على البعير
فقال الأعرابي صدقت!!
ففعل ما أشار إليه ثم عاد يسأله ·
هل أنت شيخ قبيلة أم شيخ دين؟
فقال لا هذا ولا ذاك
بل رجل من عامة الناس ،
فقال الأعرابي :
قبحك الله لا هذا ولا ذاك
ثم تشير علي!!
فأعاد حمولة البعير كما كانت



الدّرس الأوّل:

تواضعْ!
التي أوقفتْ جيش نبيٍّ نملة
والذي كان سبباً في هداية أمة هدهد
وانظرْ لتواضع سُليمان وقد ملك الأرض من مشرقها لمغربها
يبتسمُ ضاحكاً من قول نملة
ويستمع لهدهدٍ أحاط بما لم يُحطْ هو به علماً!

الدّرس الثّاني:

الوضيع إذا قال الحق تعاظم لأنّ الحق يرفعُ أهله
والعظيم إذا قال الباطل تصاغر لأنّ الباطل يحطُّ أهله!
فليكنْ حكمك على القول لا على صاحبه
وناقشْ الفكرة لا الشخص
تافهون أولئك الذين يُشخصنون كلّ حوار
ويُقزّمون كل فكرةٍ لم يرق لهم صاحبها
وعظماء أولئك الذين ينزلون على الحق بغض النظر عن قائله
وانظرْ لسيّد النّاس وقد اتخذ موضعاً للقتال في بدر
وأنزل الجيش منزلاً ظنّه الأفضل
فإذا بالحَباب بن المنذر يسأله :
أهوَ موضع أنزلكَ الله إياه ، أم هي الحربُ والمشورة والرأي
فقال له : بل هي الحربُ والمشورة والرأي!

فقال الحُبابُ: ما هذا بمنزل للحرب، أرى أن نكون آبار بدر خلفنا
فنشرب ولا يشربون!
فنزل النبيّ صلى الله عليه وسلم عند رأيه
هذا وهو المُؤيّد بالوحي
الذي أمّ الأنبياء ذات إسراء
وصعد إلى السماء السّابعة ذات معراج!

.

.

الدّرس الثّالث:
النّاس بعقولهم وقلوبهم لا بأجسامهم ووجوههم
لقمان الحكيم كان عبداً نوبياً أسود
اشتراه سيّده بثلاثين مثقالاً
وكان سيّده مقامراً يلعب بالنّرد، فقامر مرّة وخسر
فاشترط عليه المقامر الفائز أن يشرب ما بين ضفتي النّهر
أو يفقأ عينيه، ويجدع أنفه، ويقطع أذنيه
ويكفيه من ذلك كلّه أن ينزل عن ماله فداءً
فقال له: أمهلني حتى الغد
وبينما هو مهموم مغموم إذ مرّ به لقمان، وسأله ما به
فأخبره الخبر
فقال له لقمان: اطمئن فإنّي سأخرجك من رهانك هذا
فإذا جاء الغد سَلْه: أأشربُ ما بين الضّفتين أم المدّ؟
فسيقول لك ما بين الضّفّتين

فقال له احبسْ عني الماء إذاً كي لا يختلط الماء
فإنّه سيعصرا!
فلما كان الغد قال سيّد لقمان لخصمه أأشربُ ما بين الصّفتين أم المدّ؟
فقال : أشربْ ما بين الصّفتين
فقال له : احبسْ عنّي المدّ كي لا يختلط الماء
فقال له : لا أستطيع
فقال سيّد لقمان : وأنا لا أشربُ ماءً ليس داخلاً في الرّهان
فقُضي الأمر
وأُعجب سيّد لقمان به ، وأعتقه .

.

.

الدّرس الرّابع:
أحياناً صاحب العقل لا يُسعفه عقله
فيجد ضالته في عقل من دونه
ومن حكمة الله أنّه أحاج النّاس للناس!
فإن كان حلّال مشاكل غيره قد يحتاج من يسعفه بمشكلته
فنحن العاديّون أحوج ما نكون لنُصح غيرنا!
ولنتواضع للحقّ إذا قيل دون أن نلتفت لمكانة قائله
كان في الجاهليّة رجل تقصده العرب من كل حدبٍ وصوب في مشاكلها
وذات يوم جاءه ثلاثة إخوة يطلبون حكمه في قضيّة إرث

فلما وقفوا بين يديه قالوا له :
نحن ثلاثة إخوة مات أبونا عن مال كثير
وعندنا شخص رابع له عضو ذكريّ وعضو أنثويّ
ونحن لا ندري أيرثُ معنا إرثَ الرّجال أم يرثُ إرثَ النّساء!
فقال لهم: دعوني أُقلّب أمركم هذا
ونصبَ لهم خيمةً وأكرمهم كأحسن ما يكون إكرام الضّيوف
وأوكل خادمة تسهر على راحتهم...
وبدأت الأيام تمضي والحكيم لا يستقرّ على رأي
وبعد أن انقضى شهر جاءت الخادمة إليه وقالت له
ما أرى إلا أنّك حسنتَ ضيوفك، فلا أنتَ أفتيتهم في أمرهم، ولا صرفتهم إلى أهلهم
فما هو هذا الأمرُ الذي لم تجد فيه حُكماً بعد؟!
ضحكَ الحكيم وقال لها: إن كنتُ أنا قد عجزتُ فأنتِ عن هذا الأمر أعجز!
فقالت له: قل لي فإن الله يضع سرّه في أضعف خلقه!
فلم يجد بُدّاً أن يخبرها
فقالت له على الفور: الأمر يسير!
إن كان يبول قائماً كالرّجال ورث إرث الرّجال
وإن كان يبول قاعداً كالنّساء ورث إرث النّساء
فاستحسن الحكيمُ رأيها وقضى به!



متى ينقرضُ هؤلاء؟!

قال رجلٌ ليحيى بن خالد البرمكيّ:
والله لأنتَ أحلمُ من الأحنف
وأحكَمُ من معاوية
وأحزمُ من عبد الملك
وأعدلُ من عمر بن عبد العزيز!
فقال له يحيى:
لعُمير غُلام الأحنف أحلمُ منّي
ولسرحون كاتب معاوية أفقه منّي
ولأبو الزّعيزعة صاحب شرطة عبد الملك أحزمُ منّي
ولمزاحم قهرمان عمر بن عبد العزيز أعدل منّي
وما تقرّب إليّ من أعطاني فوق حقّي!

.

.

الدّرس الأوّل:
يقول داروين في كتابه «أصل الأنواع»:
البقاء ليس للأقوى، وإنّما للأقدر على التّكيّف!
بغضّ النّظر عن خرافات داروين الكثيرة، إلا أنّ هذا كلام صحيح
وإلا لما انقرضت الدّيناصورات وبقيت الفئران!
لهذا لن ينقرض هؤلاء لأنّ لهم قدرة عجيبة على التّكيّف

يخلعون مبادئهم كما تخلعُ الحيّة جلدها
ويُغيّرون وجوههم كما يُغيّر أحدنا ملابسه!

.

.

الدّرس الثّاني:
المتسوّلون ليسوا أولئك الذين يلبسون ثياباً رثّة ويمدّون أيديهم في الطّرقات
هناك متسوّلون مرموقون!
منهم شعراء كابن هانيء الأندلسيّ الذي قال للخليفة :
ما شئتَ لا ما شاءت الأقدارُ . . . فاحكم فأنتَ الواحدُ القهّارُ
وهناك مفتون الدّين في أيديهم كالقماش يُفصّلونه على مقاس من يدفع أكثر
وهناك متسوّلون عندهم قنوات تلفزة
وهناك موظّفون يتسوّلون عند رئيس مجلس الإدارة
وهناك مدرّسون يتسوّلون عند مدير المدرسة
هؤلاء لا يمدّون أيديهم كالمتسوّلين الذين ترونهم في الشّوارع
هؤلاء يمدّون ماء وجوههم!

.

.

الدّرس الثّالث:
من لم يحفظ مكانة غيرك عندك
سيأتي يوم ولن يحفظ مكانتك عند غيرك!

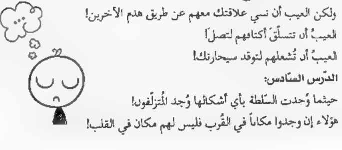
ومن اتخذ الآخرين سُلّماً ليصعد إليك من خلالهم
سيأتي يوم ويتخذك سُلّماً ليصعد إلى غيرك!
هؤلاء كالنّاموس والبقّ طعامهم الألذّ ما كان من دماء الآخرين!

الدّرس الرّابع:

النّبلاء ليسوا بحاجة لأن يكون الآخرون أقلّ قيمة ليرتفعوا
فكن نبيلاً ولا ترضَ أن يُهان شريف في حضرتك
ولو كان بينك وبينه خصومة!
النّبلاء يعرفون فضل أعدائهم كما يعرفون فضل أصدقائهم!

الدّرس الخامس:

ليس عيباً أن تكون علاقتك حسنة بمن هم أعلى مرتبة منك
بدءاً برئيس الدّولة، مروراً بالوزير، وصاحب الشّركة، ومدير المدرسة، ومالك المصنع
ولكن العيب أن تبني علاقتك معهم عن طريق هدم الآخرين!
العيبُ أن تتسلّقَ أكتافهم لتصلَ!
العيبُ أن تُشعلهم لتوقد سيجارتك!



الدّرس السّادس:

حيثما وُجدت السّلطة بأي أشكالها وُجد المُتزلّفون!
هؤلاء إن وجدوا مكاناً في القُرب فليس لهم مكان في القلب!

وهم في العالب لا يتقاضون مرتّباتهم وإنّما يتقاضون أثمانهم!
إنّهم أشبه بكلاب الصّيد الذين يحسبون أنفسهم أصدقاء الصّيادين
مع فارقٍ ضئيل أن كلاب الصّيد تقوم بعملها الذي خُلقت له ، معتمدة على جهدها لا على تحطيم الآخرين!



وعاطلٌ عن العمل بعده نعمل لن يتكيّف مع بطالـه كما مات قبل وعدك

الخُذلان موجع . . .

والنّاس يبنون على الوعود أحلاماً وحين تهدم حلم أحد تكون قد هدمت حياته فعلاً!

.

.

الدّرس الثّاني

كان السّموأل يهوديّاً ولكنّه كان شهماً

فضربتْ به العربُ المثل في الوفاء

وكانتْ إذا أرادتْ أن تمدح شخصاً بالوفاء قالت : فلان أوفى من السّموأل!

كان السّموأل صديقاً للشاعر الشهير امرىء القيس

وبعد أن قتل ملك كندة والد امرىء القيس

جمع امرؤ القيس سلاحاً ودروعاً كثيرة وأودعها السّموأل

وذهب إلى قيصر يطلب منه المدد لاسترجاع ملك أبيه

فعاد من عند قيصر صفر اليدين ، ومات بعدها كمداً وحزناً

ولما علم ملك كندة بموت امرىء القيس أرسل إلى السّموأل يطلب أمانة امرىء القيس

فرفض السّموأل وقال له : لا أعطي الأمانة إلا لورثته

فلم يجد ملك كندة بُدّاً أن يحارب السّموأل ليحصل على تركة امرىء القيس

فلما حضر بجيشه دخل السّموأل حصنه المنيع كعادة اليهود وقتذاك
إذ كانوا يتّخذون حصوناً
وكان ابن السّموأل خارج الحصن فقبض عليه ملك كندة
وناداه فأطلّ عليه السّموأل من أعلى الحصن
فقال ملك كندة: أعطني تركة امرىء القيس، وأُخلي سبيل ابنك
وإلا ذبحته أمام ناظريك
فقال له السّموأل: ضياع ابني أهون عندي من ضياع مروءتي!
فذبح ملك كندة ابن السّموأل وعاد أدراجه
فحفظت العربُ هذا الوفاء المذهل وقالتْ قولتها الشهيرة: أوفى من السّموأل!

.

.

الدّرس الثّالث:

لا تتخذ قراراً وأنتَ في شدّة غضبك
ولا تقطع وعداً وأنتَ في شدّة فرحك
الغضبُ يعمي العقل فتريّث
والفرح يغرقك في نشوته فتمهّل
عندما نغضب لا نفكّر إلا بالانتقام
وكلّ قرار يصنعه الحقد قرار خاطىء
وعندما نفرح لا نُفكّر إلا بالمكافأة
وكلّ قرار في نشوة الفرح قرار مُتسرّع
فامسك زمام نفسك!

الدّرس الرّابع:

كما عرفت العربُ السّموأل بوفاء العهد

عرفتْ عرقوب بخُلفه ، فإذا أرادت أن تذمّ أحداً بخلف الوعد قالت : أكذبُ من عرقوب!

وعرقوب رجلٌ من العماليق كان عنده نخل

فأتاه سائلٌ يسأله صدقة

فقال له عرقوب إذا أطلعتْ هذه النّخلة فلك طلعها

فلمّا أطلعتْ أتاه حسب الموعد

فقال له عرقوب دعها حتى تصير بلحاً

فلما أبلحتْ أتاه حسب الموعد

فقال له عرقوب : دعها حتى تصير زهواً

فلما زهتْ أتاه حسب الموعد

فقال له عرقوب : دعها حتى تصير تمراً

فلما أتمرتْ عمد إليها عرقوب في الليل وقطعها ولم يعطِ السّائل شيئاً

فصار عند العرب مثلاً

فدافعْ عن سمعتك

وفاء واحد قد يرفعك رفعة السّموأل

وخلف واحد قد يحطّك حطّ عرقوب

.

.

الدّرس الخامس:

إن لم يأت في خلف الوعد سوى أنّه إحدى آيات المنافق لكفى

ومن كان فيه خلف الوعد كان فيه آية من نفاق حتى يدعها

وقد قالت العرب : وعد الحرّ دَين

وقالت : الحرّ إذا وعد وفى

لأنّهم كانوا يعتقدون أنّ الفارق بين الحرّ والعبد ليس لون البشرة

وإنما لون الأخلاق

فلا تكن حرّاً بهيئتك عبداً بأخلاقك!



وما طردناك من بخل ولا قلل
لكن خشينا عليك وقفة الخجل

لهذه الأبيات قصة حلوة . . .
كان فيما مضى شاب ثري ثراءً عظيماً
وكان والده يعمل بتجارة الجوهر والياقوت
وكان الشاب يؤثر أصدقاءه أيّما إيثار
وهم بدورهم يجلّونه ويحترمونه بشكل لا مثيل له .
ودارت الأيام دورتها ، ومات والد الشاب ، وافتقرت العائلة .

فبدأ الشاب يبحث عن أصدقاء الماضي
فعلم أن أعز صديق كان يكرمه ويؤثر عليه ،
وأكثرهم مودةً وقرباً منه قد أثرى ثراء لا يوصف .
وأصبح من أصحاب القصور والأملاك والأموال

فتوجه إليه عسى أن يجد عنده عملاً أو سبيلاً لإصلاح حاله .
فلما وصل باب القصر استقبله الخدم والحشم .
فذكر لهم صلته بصاحب الدار وما كان بينهما من مودة قديمة .
فذهب الخدم فأخبروا صديقه بذلك

فنظر إليه ذلك الرجل من خلف ستار
ليرى شخصا رث الثياب عليه آثار الفقر فلم يرض بلقائه
وأخبر الخدم بأن يخبروه أن صاحب الدار لا يمكنه استقبال أحد .
فخرج الرجل والدهشة تأخذ منه مأخذها ،
وهو يتألم على الصداقة ، كيف ماتت وعلى القيم ،
كيف تذهب بصاحبها بعيداً عن الوفاء .
وتساءل عن الضمير ، كيف يمكن أن يموت
وكيف للمروءة أن لا تجد سبيلها في نفوس البعض .
ومهما يكن من أمر فقد ذهب بعيدا .
وقريباً من دياره صادف ثلاثة من الرجال عليهم أثر الحيرة وكأنهم
يبحثون عن شيء .

فقال لهم ما أمر القوم؟
قالوا له : نبحث عن رجل يدعى فلان ابن فلان وذكروا اسم والده ،

فقال لهم إنه أبي ، وقد مات منذ زمن
فحوقل الرجال وتأسفوا ، وذكروا أباه بكل خير ،
وقالوا له إن أباك كان يتاجر بالجواهر
وله عندنا قطع نفيسة من المرجان كان قد تركها عندنا أمانة
فأخرجوا كيسا كبيراً قد ملئ مرجانا ، فدفعوه إليه ورحلوا ،
والدهشة تعلوه وهو لا يصدق ما يرى ويسمع . .
ولكن تساءل أين اليوم من يشتري المرجان

فإن عملية بيعه تحتاج إلى أثرياء
والناس في بلدنا ليس فيهم من يملك ثمن قطعة واحدة
مضى في طريقه وبعد برهة من الوقت
صادف امرأة كبيرة في السن عليها آثار النعمة والخير

فقالت له يا بني أين أجد مجوهرات للبيع في بلدتكم
فتسمر الرجل في مكانه ليسألها عن أي نوع من الجوهرات تحب

فقالت أريد أحجارا كريمة رائعة الشكل ومهما كان ثمنها .

فسألها : إن كان يعجبها المرجان
فقالت له : نعمَ المطلب
فأخرج بضع قطع من الكيس فاندهشت المرأة لما رأت .
فابتاعت منه قطعا ، ووعدته بأن تعود لتشتري منه المزيد
وهكذا عادت الحال إلى يسر بعد عسر
وعادت تجارته تنشط بشكل كبير .
فتذكر بعد حين من الزمن ذلك الصديق الذي ما أدى حق الصداقة
فبعث له ببيتين من الشعر بيد صديق جاء فيهما :
صحبتُ قوما لئاما لا وفاء لهم .
يدعون بين الورى بالمكر والحيل . .

كانوا يجلونني مذ كنت رب غنى . .
وحين أفلستُ عدوني من الجهل . .

فلما قرأ ذلك الصديق هذه الأبيات كتب على ورقة ثلاث أبيات
وبعث بها إليه جاء فيها

أما الثلاثة قد وافوك من قبلي .
ولم تكن سببا إلا من الحيل . .

أما من ابتاعت المرجان والدتي . .
وأنت أنت أخي بل منتهى أملي

وما طردناك من بخل ومن قلل . .
لكن خشينا عليك وقعة الخجل . . .

.

.

الدّرس الأوّل:

الدّنيا دولاب ، والزّمن دوّار!

والحياة كالحرب : يومٌ لكَ ويومٌ عليكَ

أعتى مُلاكم هي الأيام ، فكثير أولئك الذي أسقطتهم بالضّربة القاضية!

عالك زالت ، وملوكٌ خُلعوا

وجاهٌ انقضتْ، وقصورٌ خربتْ
كثرٌ رأيناهم في قمّة الحياة ثمّ دار الزّمان دورته فإذا هم عند سفحها!
كثرٌ كانوا يُقصدون فصاروا يَقصدون
كثرٌ كانوا يَحكمون فصاروا يُحكمون
الأيّام جندٌ من جنود الله، يرفعُ بها أقواماً ويحطُّ آخرين
فإذا كنتَ في غنى فلا تأمن الفقر
وإذا كنت في فقر فلا تيأس من الغنى
وإذا كنت في صحّة فلا تأمن المرض
وإذا كنت في مرض فلا تيأس من الشّفاء
تعامل مع الغد كغريبٍ لا تعرفه
لا كصديقٍ غائبٍ تنتظره!

.

.

الدّرس الثّاني

المعروف لا يضيع!
وإن ضاع عند النّاس فلن يضيع عند الله!
فسلّف النّاس سلفَ من لا ينتظرُ السّداد
وأحسنْ إليهم إحسان من لا ينتظر العوض
ولكن كن على ثقة أن الحياة دين سيُوفّى لا محالة
كتاب البرّ الذي تكتبه في حياة أبويك سيقرأه عليك أولادك!
وكتاب العقوق الذي تكتبه
سيأتي يوم ويراجعه لك أبناؤك حرفاً حرفاً!

أعراض النّاس التي تتورّع عنها وأنت قادر عليها
هو عرضك الذي تحميه من النّاس وهم قادرون عليه!
الصّدقة التي تضعها في يد فقير هي التي ستحمي يدك أن تمتدّ للنّاس!
صدّقني ، أنتَ تتصدّقُ على نفسك حين تدّخرُ عند الله!
يدٌ تمدّها إلى ضعيف هي يدٌ تُخبّئها للغد إذا ضعفت
ومساعدة متعثّر هي مساعدة تُخبّئها للغد إذا تعثّرتَ
المعاملة دَين ، والأيام سَدادا!
من ظَلَم ظُلِم ، ومن قَتل قُتل!
من أبكى أُبكي ، ومن أَضحكَ أُضحك!
وحتى إن لم تكن الدّنيا سَداد فهناك آخرة
سيسعدُ صاحب المعروف أن معروفه لم يُوفَ في الدّنيا
وسيتمنّى صاحب الخيانة أن خيانته رُدّتْ له في الدّنيا

.

.

الدّرس الثّالث:

الدّنيا دار زراعة لا دار حصاد!
فازرع فيها ما يسرّك أن تحصده غداً
وتذكّر دوماً أنّ الإنسان بقلبه لا بجيبه
وتأسَّ بمن هم خيرٌ منك!
إن كُذّبتَ فقد كُذّب نوح قبلكَ!
وإن عُصيتَ فقد عُصيَ موسى قبلكَ!

وإن ظُلمتَ فقد ظُلِم يوسف قبلك!
وإن افتقرتَ فقد افتقرَ عيسى قبلك!
وإن طُردتَ فقد طُرد محمد قبلك!
وإن كان لكَ ولدٌ عاق فقد سبق ابنُ نوح ابنكَ!
وإن كان لكَ أبٌ فاجر فقد سبق أبو إبراهيم أباكَ!
وإن كان لكَ زوجة عاصية فقد سبقتْ زوجة لوطٍ زوجتكَ!
وإن كان لكِ زوجٌ عاصٍ فقد سبق زوج آسيا زوجكِ!
وإن كان لكَ عم ضال فقد سبق عمّ محمّد عمّكَ!
ابتلى الله هؤلاء قبلك ليُعلّمك أن الدّنيا امتحان كبير
وأنّ كلّ إنسان آتيه يوم القيامة فرداً
فلا تدع أحداً يقفُ بينكَ وبين الله!

.

الدّرس الرّابع:
إذا صنعتَ معروفاً مع إنسان فلا تتذكّره
وإذا صنع إنسان معكَ معروفاً فلا تنساه
أحياناً لا ينتظر منكَ صاحب المعروف سَداداً
ولكن من العيب أن تنسى
لهذا اكتبْ معروفك مع النّاس على الرّمل لتخفيه الريح
واكتبْ معروف النّاس معك على الصّخر لتقرأه دوماً!

.

.

الدّرس الخامس:

لا أحقر من الذي يُبادر النّاس بالإساءة

إلا الذي يردّ المعروف بالإساءة

عقوقٌ أن تُبكي عيناً سهرت الليل تحرسك

ونضرب يداً أفنتْ عمرها ترعاك

عقوق أن تردم بئراً شربتَ منه

وتقطعَ شجرةً أكلتَ منها

ولا ينطبق عليك مثل العرب القديم : سمّن كلبكَ يأكلكَ!



فكّر أن تتغيّر!

انتقل رجل مع زوجته إلى منزل جديد
وفي صبيحة اليوم الأول وبينما يتناولان وجبة الإفطار
قالت الزوجة مشيرة من خلف زجاج النافذة المطلة على الحديقة المشتركة بينهما وبين جيرانهما
انظر يا عزيزي إن غسيل جارتنا ليس نظيفاً
لا بدّ أنّها تشتري مسحوقاً رخيصاً
ودأبت الزّوجة على إلقاء نفس التعليق في كل مرة ترى جارتها تنشر الغسيل
وبعد شهر اندهشت الزوجة عندما رأت الغسيل نظيفاً على حبال جارتها
وقالت لزوجها : انظر لقد تعلمت اخيراً كيف تغسل
فأجاب الزوج : عزيزتي لقد نهضتُ مبكراً هذا الصباح ونظفت زجاج النافذة اللتي تنظرين منها!
.
.
الدّرس الأوّل:
نحن في العالم لا نرى الأشياء كما هي بل كما نحن!
اللصُّ يرى الأمينَ جباناً
والمتهتكةُ ترى الملتزمةَ معقّدة

والكاذبُ يرى الصّادقَ غشيماً ولا يعرف من أين تُؤكل الكتف!
والمسترجلةُ ترى المحتشمة بأنوثتها ضعيفة
هكذا نحن دوماً نبحثُ في الآخرين عنّا
ونجعل من أنفسنا مقياس نختبر نقيسُ به النّاس
وننسى أنّه ودّت الزّانية لو كل النّساء زنين
وودّ السّارقُ لو كلّ الرّجال سرقوا!
ومن المؤلم أنّ أصحاب الفضيلة لو حرصوا على نشر فضائلهم
حِرصَ أصحاب الرّذيلة على نشر رذائلهم لكانت الدّنيا بخير!

.

الدّرس الثّاني:

من اشتغلَ بعيوب النّاس نسيَ عيبه
ومن اشتغلَ بعيوبه لن يبقى له وقت لينظر في عيوب النّاس
ولكننا نحن البشر نريد أن نُغيّر العالم ليتلاءم معنا
مع أنّه من الأيسر أن نُغيّر أنفسنا!
هناك خرافة تروى . . .
أنّه في يوم من الأيام خرج أحد الملوك يتفقّد رعيّته
فدخلتْ شوكة في قدمه
فطلب من وزيره أن يفرش شوارع المملكة كلها بالجلد
فقال له الوزير: هذا أمرٌ عسير يا مولاي
ما رأيك أن تضعَ قطعة جلد في أسفل قدمك
وهكذا تصبح كلّ الشّوارع مفروشة بالجلد

وهكذا وُلدت الأحدية!
تغيير النّفس أسهل من تغيير العالم
أقلّ كلفة، وأبلغ أثراً!

الدّرس الثالث:

أسهل نشاط إنسانيّ هو انتقاد الآخرين!
مع أنّه لا يُغيّر في واقعنا شيئاً، بل يجعلنا أسوأ!
انتقاد الأغنياء لن يجعلك لن يجعلك أكثر مالاً
وانتقاد الدّعاة لن يجعلك أكثر إيماناً
وانتقاد المخطئين لن يجعلك أكثر اتقاناً
فإن لم يكن من سبيل لممارسة غريزة النّقد المدفونة فينا
فليكن النّقد بنّاءً لا هدّاماً
النّقد اللاذع كالجرعة المفرطة من الدّواء
يضرُّ فوق أنّه لا يشفي!
حتى النّصيحة التي لا تأتي على طبقٍ من اللطف لا تقع في القلب!
وعندما قال فرعون: «أنا ربّكم الأعلى»
أرسل الله إليه نبيّاً ليقول له «قولاً ليّناً»!

.

.

الدّرس الرّابع:

أخطاؤك تريكَ صوابَ الآخرين أخطاءً

فقيّم نفسك في كلّ اختلاف

وتأكّد من صلابة الأرض التي تقفُ عليها

الذين كذّبوا نوحاً حسبوا أنّهم على صواب

والذين رموا إبراهيم في النّار لم يعجبهم أنّه جعل الآلهة إلهاً واحداً

والذين دخلوا البحر وراء موسى ليقتلوه ظنّوا أنّه يريد أن يظهر في الأرض الفساد!

فنُّ المسافة!

قال أبو جعفر المنصور: بلغني أنّ أسداً لقيَ خنزيراً

فقال له الخنزير: قاتلني!

فقال الأسد: إنّما أنتَ خنزير ولستَ بكفؤٍ لي ولا نظير

ومتى فعلتُ الذي تدعوني إليه وقتلتك

قيل: قتل الأسدُ خنزيراً وليس هذا محطّ فخر

وإن نالني منكَ شيءٌ كان ذلك سُبّةً عليّ

فقال له الخنزير: إن أنتَ لم تفعل

رجعتُ إلى السّباع وأعلمتهم أنّك جبنتَ عن قتالي

فقال الأسد: احتمالي كذبكَ أيسر عليّ من تلطيخ شاربي بدمكَ!

.

.

الدّرس الأوّل:

ترفّعْ!

إذا كان الإنسان يُعرف بأصدقائه

فإنّه أيضاً يُعرف بأعدائه!

البعض لا يستحقّون شرف أن تعاديهم حتى!

من تفاهتهم إن غلبتهم لن تجد حلاوة النّصر

وإن غلبوك فستكون مرارة الهزيمة مضاعفة!

هناك معارك يبقى النّصرُ فيها طاحناً مهما كان ساحقاً!
نظراً لمواضع الخصم في تلك المعركة
ليس نصراً أن يهزم السّيف عصاً
وليس نصراً أن يسحق عداءً مشلولاً
هناك معارك الطريقة الوحيدة لكسبها هي عدم خوضها منذ البداية
وأيّ نصرٍ فيها ليس إلا هزيمة ترتدي زيّ النّصر!

الدّرس الثّاني

عندما تُنازل خسيساً بأسلوبه تتساوى معه!
فلا تسمح لأحدٍ أن يُنزلك لمستواه
وإن كان لا بُدّ من خوض ذلك النّزال
فلا تدعه يختار لكَ سلاحك
الغايات لا تُبرر الوسائل!
والغايات النبيلة لا تبقى كذلك إذا سعيت لها بوسائل خسيسة!
نقاء السّلاح ضروريّ لنقاء النّصر
فالنّصرُ المُلوّث هزيمة أخرى مهما حاولنا أن نقنع أنفسنا بالعكس!

الدّرس الثالث:

في الوفاق لا يمكن معرفة النبلاء
النبلاء يظهرون في الخصومات!

النّاسُ إذا أحبّوا لانوا!
وإذا أُعطوا رضوا!
فإذا خاصمتَ أحداً ولم يتنازل عن نبله
فأصلحْ ما بينك وبينه على الفور
هؤلاء عملة نادرة قلّ التداول بها فلا تضيّعها

.

الدّرس الرّابع:
هناك فرق بين التّرفع والتّكبر
التّكبر أن ترى أنّك أفضل من الآخرين لأنك أكثر علماً أو مالاً أو جمالاً
أما التّرفع فهو أن ترى أنّ الخصومة ليست إلا صفحة في كتاب قرأتها ، وأخذتَ منها درساً ، وطويتها
ولا داعي أن ترجع إليها مرّةً أخرى
فترفّع ولا تتكبر

.

.

الدّرس الخامس:
البطولة الحقيقية تجنّب الخصومات لا خوضها
تعامل مع النّاس كما ينصحُ خبراء القيادة
اتركْ مسافة أمانٍ بينك وبين السّيارات الأخرى
مسافة الأمان هذه هي التي تمنع الحوادث

تصبح حبالك أجمل عندما تتقن فن المسافات
المسافة هي التي حمت الأرض من الاحتراق بالشمس
لو اقتربتْ أكثر لاحترقتْ
ولو ابتعدتْ أكثر لتجمّدتْ!
والمسافة هي التي جعلتْ القمر يدور في فلكها
فلو اقتربَ أكثر لجذبته!
هندسة المسافة الدقيقة هي التي أنتجتْ كوناً رائعاً
فكن مهندس مسافة ، واحسبْ خطواتك بدقّة!
لا تبتعد أكثر مما يجب
ولا تقترب أكثر مما يجب
فعندما تبتعد أكثر مما يجب سيصبح الاقتراب صعباً حين تحتاجه
وعندما تبتعد أكثر مما يجب سيصبح الابتعاد صعباً حين يُفرض
عليك!

الدّواء المعجزة!

في عائلة فقيرة مؤلفة من أم وأب ، وولد وبنت صغيرين
مرضَ الصبيُّ مرضاً شديداً
وبعد الفحوص المخبريّة ، والتحاليل الطّبيّة تبيّن أنّه يُعاني ورماً في رأسه
وبعد حديثٍ مع الطبيب المعالج
عاد الأب إلى البيت ليخبر أم الصبيّ أنّ ابنها بحالة حرجة
ولا بدّ من إجراء عمليّة جراحيّة باهظة التّكاليف
وأنّ الصّغير لن ينجو دون معجزة
في هذه الأثناء كانت البنت الصغيرة تسترق السمع إلى حديث والديها
فأسرعتْ إلى غرفتها ، وفتحتْ حصّالتها
لتجدَ فيها دولاراً واحداً
أخذت الدّولار وتوجّهت إلى أقرب صيدليّة
ووقفتْ تنتظرُ أن يفرغ الصيدليّ من الحديث مع رجل دخلتْ فوجدته هناك
ولما طال الحديث ، وضعت الطفلة الدولار على الطاولة بغضب
وقالت للصيدليّ : أعطني معجزة!
قال لها الصيدليّ : ألا ترين أنّي مشغول بالحديث مع أخي الذي لم أره منذ سنين

ثم أردف قائلاً . ومن قال لك أنّي أبيع المعجزات؟!
عندها قال لها شقيق الصيدلي باهتمام حدّثيني عن المعجزة التي تريديها!
فقالت له ببراءة لا أعرف ، قال أبي لأمي إن أخي يحتاج إلى معجزة كي لا يموت
فهل يكفي هذا الدّولار؟!
قال لها بابتسامة وصوت دافيء : دولار واحد هو ثمن المعجزة بالضبط!
ولكن عليّ أن أرى أخاكِ أولاً
كان هذا الرّجل هو «كارلتن أرميستروبغ» جرّاح الأعصاب الشّهير
ذهب مع البنت إلى بيتها وقابل أبويها
وراجع الفحوص المخبريّة والتحاليل
ثمّ قال لهم : أنا سأجري له العمليّة في مشفاي
وبالفعل قام الطبيب بإجراء عمليّة ناجحة للصبيّ
ولم يتقاضَ أكثر من الدولار الذي أعطته إياه البنت
ثم علّق الدولار في إطار على أحد جدران عيادته وكتب تحته :
«هذا الدولار ثمن معجزة»!

.

.

الدّرس الأوّل:
إحدى مشاكلنا في هذه الحياة هي أننا كبرنا ونسينا أن نأخذ معنا قلوب الأطفال ونحن نكبر!

تركناها تسمو وتشتدّ
حتّى أصبحت عظاماً صلبة في صدورنا
مجرّد مصحّات للدم ليس لها غير هذه الوظيفة
أجمل البشر هم الأطفال الكبار
ترى الشّيب قد علا مفرق أحدهم
وقلبه قلب ابن الخامسة
يوجعه منظر مسكين يمدُّ يده إلى النّاس
ويُبكيه منظر مريض قد يئس منه الأطبّاء
ويُفسد عليه يومه خيمة مشرّد لا تقي من البرد
ولا يتلذذ بطعام في يوم علم أنّ فيه إنساناً جائعاً
ولا يهنأ بنوم في يوم رأى فيه إنساناً بلا مأوى
الإحساس بالآخرين هو ما يجعلنا بشراً
لسنا أشجاراً مغروسة بجنب بعض
تتسابق جذورها في باطن الأرض أيّها يأخذ من الغذاء أكثر!
حتى الشّجر الذي يخوض معركة أنانيّة ضارية في باطن الأرض
يفيض فوقها ركاماً من العطاء
يُطعم الجميع دون أن يسأل عن لونٍ أو جنس
ويُظلل الجميع دون أن يسأل عن دين أو معتقد
المعتقدات التي لا تجعلنا أكثر رأفة علينا مراجعتها
أو مراجعة فهمنا لها!
والأفكار التي لا تجعلنا أرقّ قلوباً
علينا أن نُقيّمها

فالأفكار والمعتقدات التي لا تجعلنا أكثر إنسانيّة
ليستْ إلا نفايات فكريّة علينا أن نتخلص منها!

الدّرس الثّاني:
إيّاكَ أن لا تُبالي بمشكلة مخلوق حلّها عندك
حتى ولو كان هذا المخلوق كلباً!
أجل كلب!!
بغيٌّ بني إسرائيل حين أدركها العطش ونزلتْ إلى البئر لتشرب
ثم صعدتْ ووجدتْ كلباً قد أنهكه العطش
خلعت موقها / حذاءها وغرفتْ به الماء وسقته
فشكر الله لها فعلها وأدخلها الجنّة
ورجلٌ رأى غصن شجرة يؤذي النّاس في الطريق
فقطعه ليميط الأذى عنهم
فشكر الله له وأدخله الجنّة
وامرأة دخلتْ النّار في هرّة حبستها
لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض
النّارُ التي يدخلها النّاس بالذنوب الجسام
دخلتها امرأة في هرّةٍ مسكينة
والجنّة التي يسعى إليها الناس بمشقّة الطّاعات
دخلتها بغيٌّ بسُقيا كلب
ودخلها رجلٌ بقطع غصن
فلا تحقرنّ من المعروف شيئاً!

الدّرس الثّالث:

المال أفضل خادم وأسوأ سيّد!
والدّينُ أفضل سيِّد وأسوأ خادم!
فلا تجعل سيّدك خادمك
ولا تجعل خادمك سيّدك
المال وسيلة تتحصّل بها على الأشياء الجميلة
وليس غاية تُفسد في سبيلها كلّ جميل
لهذا اجعله دوماً خادمك
حصّله لتسعد به وتُسعد به من حولك
لو بقي المال للأبد لبقي لقارون
ولو بقي الجاه لأحد لبقيَ للنمرود
فأين هما الآن؟!
في باطن الأرض مع الفقراء والمساكين
وحده هذا الدّين غاية لأنّ فيه رضى الله
وهي الوظيفة التي خُلق لأجلها النّاس
فلا تأكل بدينك
وقد قالت العربُ قديماً: تموتُ الحُرّة ولا تأكل بثدييها
وإنّ التّرزّق بالدين أشدّ سفاحاً!
لأنّه يجعلك تبيع ما عند الله بما عند النّاس
وهذه أحمق بيعة!
وليس هناك أحمق ممن يبيع دنياه بآخرته
إلا من يبيع آخرته بدنيا غيره!

الدّرس الرّابع:
تمسكنا بديننا لا يتعارض مع احترام وتقدير تصرفات الآخرين
المسلة
على العكس تماماً
الاعتراف بفضل الآخرين من الذّين
ولو كانوا مُخالفين
فقد فكّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أسر ابنة حاتم الطائي لنبل
أبيها
ويوم وقف أسرى بدر بين يديه قال :
لو كان مطعم بن عديّ حيّاً وكلمني في هؤلاء لأطلقتهم له
ومطعم بن عديّ مشرك أنزل النبيّ صلى الله عليه وسلم في جواره
يوم رجعه أهل الطائف
النّبيل يُقدّر النبل مهما كانت هوية من فعله
ويقف ضد الخطأ مهما كانت هوية من ارتكبه!

.

.

عن البشر الحقيقيين!

دخل الطبيبُ الجرّاح إلى المستشفى لإجراء عمليّة عاجلة لأحد المرضى

وقبل أن يدخل غرفة العمليات صرخ والد المريض بوجهه قائلاً:

لمَ التّأخر؟ إنّ حياة ابني في خطر، أليس لديك إحساس؟!

ابتسم الطبيبُ بوجهه ابتسامة فاترة وقال له:

أرجوك أن تهدأ وتدعني أقوم بعملي وسيكون ابنك بخير

فردّ عليه والد المريض: ما أبردكَ يا أخي!

لو كان المريض ابنك أكنتَ ستهدأ؟!

ما أسهل موعظة الآخرين!

تركه الطبيبُ دون أن ينبس ببنت شفة ودخل غرفة العمليّات

خرج الطبيبُ بعد ساعتين وقال لوالد المريض:

إنّ ابنك بخير وسينجو، والآن اعذرني فأنا على موعدٍ آخر

ومضى في طريقه دون أن يسمع سؤالاً آخر

وعندما خرجت الممرضة سألها والد المريض:

ما بال هذا الطبيب المغرور؟!

فقالت له: لقد توفيَ ولده في حادث سير منذ قليل

ومع ذلك لبّى الاستدعاء عندما علم حالة ابنك الحرجة!

.

.

الدّرس الأوّل:

البعض أرقى كثيراً مما نظن فلا تسبق الأمور
وراء كل مشهد تراه مشهدٌ لا تراه
وفي داخل كلّ شخص تعرفه شخص لا تعرفه
والأشياء تكون أحياناً على عكس ما تبدو
ما يبدو موقفاً في غاية النّبل
قد لا يكون سوى وظيفة!
على الشّخص أن يؤدّي فيها هذا الدّور
وما يبدو عكس ذلك
قد يكون هو التّصرف الوحيد المتاح
على العكس قد يكون نبلاً وأنت لا تراه
وقد قال عمر : ليس الفَطِنُ من يعرف الخير من الشّر
وإنما الفَطِن من يعرف خير الشّرين!

.

.

الدّرس الثّاني:

لا يمكنك أن تفهم تصرفاً ما
إلا إذا فهمتَ العقليّة التي أنتجته
فالنّاس صنيعة تربيتهم وقيمهم وعاداتهم
وقد يكونون أحياناً ضحايا كلّ هذه الأشياء
ليس المطلوب منك أن تبحث عن مبرر لكل سلوك لا يُعجبك
الخطأ يبقى خطأً نهاية المطاف

ولكن عندما نحاول أن نفهم الباعث على السلوك
قد يتحوّل الغضب من شخص ما إلى شفقة عليه
تخيّل مثلاً أنك وُلدتَ ونشأتَ في قريش قبل البعثة
وقدّر ما هي احتمالية أن تعبد صنماً
في بيئة تولد فيها وتحشوك بمعتقدات خاطئة
لهذا عندما وقف القرشيّون في وجه الدّعوة الشّريفة بادىء الأمر
إنّما كانوا يقفون مع معتقداتهم وتربيتهم وقيمهم
لهذا من زاوية ما هم ضحايا أكثر منهم جُناة!
وهكذا هم النّاس في كل عصر
كثيرون منهم ضحايا لا جُناة!

الدّرس الثّالث:
ظروفك لنفسكَ وتصرّفاتك للنّاس!
فلا تدع ظروفك تحكم تصرّفاتك
فالنّاس ليسوا مضطّرين أن يدفعوا ثمن ظروفك
مشاكل بيتك لكَ والنّاس ليسوا فشّة خلق
ومشاكلك المادية لك والنّاس ليسوا أكياس ملاكمة تُفرّغ فيها غضبك
فإذا كانت مشاكلك في البيت فلا تحملها معك إلى العمل
وإذا كانت مشاكلك في العمل فلا تحملها معك إلى البيت
والعصبيّة لا تحلّ المشاكل وإنّما تُعقّدها
والغضبُ يُحوّل النّاس من حولك من متعاطفين إلى لامنتمين!

الدّرس الرّابع:

اضبط نفسك

النّفسُ عند الغضب كالفرس الجامحة
تلبطُ كلّ من يقترب منها
وتذكّر دوماً أن أغلب المشاكل
حلّها عن طريق العقل لا عن طريق العضلات!
تخاصمت الرّيحُ مرّة مع النوم
فقالت الرّيح للنوم : أنا أقوى منك
فقال لها النوم : بل أنا أقوى!
واتفقا أن يتباريا . . .
وصادفا طفلاً جائعاً يحمل رغيفاً
وكانت المباراة أنّ من يأخذ الرغيف من الطفل فهو الأقوى
بدأت الرّيح تعصف بالصبيّ وهو متشبث بالرّغيف
حملته وطرحته أرضاً دون جدوى
وعندما يئستْ منه حان وقت النّوم
ألقى النوم شباكه على الصبيّ
وأخذ منه الرّغيف دون جهد
فلا تكن لكَ عضلات الرّيح
الكثير من المشاكل يحتاج إلى رقّة النوم!

الباب المخلوع!

عاشت الأمُّ وطفلها الصّغير في غرفة متهالكة
في حياة متواضعة يأكلان من الطّعام ما تيسّر
ويلبسان من الثّياب ما بليَ
ومع أنّ ظروف الحياة كانتْ صعبة وطاحنة
إلا أنّهما كانا قانعين بما قسم الله لهما
غير أنّ أكثر ما كان يزعج الأم هو سقوط المطر شتاءً
فسقف الغرفة متهالك لا يمنع تسلل الماء
وكانتْ هذه السّنة تُنبىء بمطر غزير
وحين تجمّعت الغيوم في الصّباح
وامتلأتْ أجواء المدينة بالسُّحب الرّماديّة الكثيفة
أدركت الأمُّ أنها ستواجه مع ابنها ليلةً لم يشهدها من قبل
ومع ساعات الليل الأولى حانت اللحظة المرتقبة
صبّت السّماء سيولها على المدينة
واندسّ النّاسُ في بيوتهم
وانزوت الأرملة في زاوية من زوايا الغرفة
ونظر الطّفلُ إلى أمّه نظرةً حائرة
واندسّ في حضنها ، ولكنّ ثيابها كانتْ مبتلة بسبب قطرات المطر
التي كانت تصيبها
عندها أسرعت الأمُّ إلى باب الغرفة وخلعته

ووضعته بشكل مائل فوق الزّاوية
وضمّتْ ابنها إلى حضنها
فنظر الصبيُّ إلى أمه وابتسامة الرضا تكسو ثغره وقال لها
ماذا يفعلُ الفقراء الذين ليس عندهم باب؟!

الدّرس الأوّل

في الدّنيا انظرْ لمن هم أقلّ منك رزقاً تستريح
وفي الدّين انظرْ لمن هم أكثر منك عبادة تجتهد
الجحيم الحقيقيّ هو أن تقلب هذه النّظرة!
فتنظر في الدّنيا لمن هم أكثر منك رزقاً
وتنظر في الدّين لمن هم أقلّ منك عبادة
وقتها ستخسر الإثنين معاً ، الدّنيا والدّين!
لأنكَ عندما تنظر لمن هم أكثر منكَ رزقاً
فسيتسلل إليك الحسد مهما كنتَ حريصاً ألا يفعل
والأخطر من الحسد هو الشعور بالسّخط على قضاء الله وقسمته!
وإذا نظرتَ لمن هم أقلّ منك عبادة
ستقول في نفسك : ديني بخير ، وأنا أفضل من كثيرين!
ولكنّك لو فكّرتَ قليلاً لوجدتَ نفسك كمن يُسابق مشلولاً
فمن المزري خوض هذا السّباق أساسا
وحتى الفوز فيه فوز تافه لا معنى له
البطولة الحقيقية هي أن تُسابق من هم أنشط منك
وتحاول جاهداً أن تسبقهم أو تُدركهم على الأقل!

الدّرس الثاني:
قيمة الإنسان الحقيقية بقلبه لا بجيبه
المال مهم لا شك
بل هو من أهمّ وسائل الحياة
ولكن لا أحد أتى قبلتْ وسائل ولم أقل غايات!
هناك بشر أغلى ما فيهم ثيابهم
وأرخص ما فيهم أخلاقهم
رائحتهم عطرة وضمائرهم عفنة!
مجرّد آلات لتجميع المال
لا يرون في الآخرين سوى دراهم ودنانير ودولارات وريالات تمشي على قدمين!
يعيشون لهدف واحد هو تنمية ثرواتهم
علاقتهم الوحيدة بالوقت ساعة في المعصم
وعلاقة بعائلاتهم صورة جماعيّة على ظهر المكتب!
هؤلاء يستحقون الشفقة لا الحسد
سُئل «بيل غيتس» مرةً ماذا تعني لكَ الأموال؟!
قال: قديماً كانتْ شيئاً مهمّاً
أمّا اليوم فهي مجرّد أرقام!
استغرب المحاورُ وسأله: كيف هي مجرّد أرقام
فقال له: ثروتي الآن أربعين مليار دولار
وهي في الحقيقة مجرّد أرقام
وقد صارتْ هكذا بعد المليار الأوّل



فقد اكتشفتُ أن كل ما أريد شراءه يكفي له مليار
وكل ما تبقّى مجرّد أرقام أملكها ولا أستخدمها!
طبعاً ليس عيباً أن يكون للإنسان ثروة
وليست مذمّة أن يسعى في زيادة ثروته
نعمَ المالُ الحلال في يد العبد الصالح
ولكن المذمّة أن يحوّلنا المال من بشر إلى آلات
مجرد «ربوتات» مبرمجة لجني المال
وإلا فمال أبي بكر هو الذي حوّل بلالاً من الرق إلى الحرّية
ومال عثمان هو الذي أطعم البطون الجائعة يوم القافلة
هناك مشاكل لا يحلّها إلا المال
فالمال مفتاح مهمّ لكثير من الأبواب المغلقة
وهذه الوظيفة للمال يجب أن لا تغيب عن أعيننا
أنها مفاتيح لأبواب مغلقة لا أكثر!

.

.

الدّرس الثّالث:

الدّنيا دولاب والزّمنُ دوّار!
والحياة كالحرب ، يومٌ معكَ ويوم عليكَ!
أعتى مُلاكم هي الأيام فكُثر سقطوا أمامها بالضّربة القاضية!
ممالكُ زالتْ ، وملوكٌ خُلعوا!
وجاهٌ انفضّ ، وقصورٌ خربتْ
كثرٌ رأيناهم في قمة الحياة

ثمّ دار الزّمان دورته فإذا هم عند سفحه!
كثرٌ كانوا يُقصدون فصاروا يَقصدون!
كثرٌ كانوا يَحكمون فصاروا يُحكمون!
فالأيام جندٌ من جنود الله يرفع بها أقواماً ويضع بها آخرين!
فإذا كنتَ في غنى فلا تأمنَنّ الفقر
وإذا كنتَ في فقرٍ فلا تيأسنّ من الغنى
وإذا كنتَ في مرضٍ فلا تقنطنّ من الشفاء
وإذا كنتَ في شفاءٍ فلا تأمننّ من المرض!
تعامل مع الغد كغريبٍ لا تعرفه
ولا تتعامل معه كحبيبٍ غائبٍ تنتظره!

.

.

الدّرس الرّابع:

الدّنيا دار زراعة لا دار حصاد!
فازرع فيها ما يسرّكَ أن تحصده غداً
وتذكّر دوماً أن الإنسان بقلبه لا بجيبه!
وتأسّ بمن هم خيرٌ منك
إن كُذّبتَ فقد كُذّب نوح عليه السلام قبلك
وإن عُصيتَ فقد عُصي موسى عليه السّلام قبلك
وإن ظُلمتَ فقد ظُلم يوسف عليه السّلام قبلك
وإن افتقرتَ فقد افتقرَ عيسى عليه السّلام قبلكَ
وإن كان لكَ ولدٌ عاق فقد شقّ ابن نوحٍ عليه السّلام أبك

وإن كان لك أب فاجر فقد سبق أبو إبراهيم عليه السّلام أباك

وإن كان لك زوجة عاصية فقد سبقتْ زوجة لوطٍ عليه السلام زوجتكَ

وإن كان لك عم ضال فقد سبق عمّ محمدٍ صلى الله عليه وسلّم عمّك

وإن كلّ إنسان آتيه يوم القيامة فرداً

فلا تدع أحداً يقفُ بينكَ وبين الله!

.

.

الخير والشرّ!

يُحكى أنّه بينما كانت سفينة في عرض البحر
إذ هبّت عليها عاصفة هوجاء فأغرقتها
ولم ينجُ من ركّابها إلا رجل
أخذتْ تتقاذفه الأمواج حتى ألقته على شاطىء جزيرة مهجورة
مرّتْ عدّة أيام والرّجلُ يقتات بما يجني من ثمار
ويصطاد من أرانب وأسماك
ويشرب من جدولٍ صغيرٍ بنى بجواره كوخاً يقيه حرّ النهار وبرد الليل
وذات يوم أخذ الرّجلُ يتجوّل في الجزيرة ريثما ينضج طعامه
فسرتْ النّار إلى الكوخ وأحرقته
ولما عاد ووجد الكوخ كومة من رماد بدأ يصرخ ويقول :
لماذا يا رب؟! حتى الكوخ الصغير الذي بنيته أخذته منّي!
ونام ليلته تلك جائعاً ساخطاً
وكم كانت دهشته عظيمة عندما استيقظ صبيحة اليوم التالي
ليرى سفينة تُنزل في الماء قارباً صغيراً لإنقاذه
وعندما أنقذوه سألهم : كيف عرفتم مكاني؟!
فقالوا له : لقد رأينا الدّخان من بعيد
فعرفنا أنّ شخصاً يطلبُ النّجدة ، فأتينا وأنقذناك!

الدّرس الأوّل:

الإنسان في الغالب لا يعرف الخير من الشّر
أمور سيئة كثيرة حدثتْ لنا
ثم بعد زمن اكتشفنا أنّ كلّ الخير يكمن في أنّها حدثتْ
وأمور جيّدة كثيرة حدثتْ معنا
ثمّ بعد زمنٍ اكتشفنا أنّ كلّ الشرّ يكمن في أنّها حدثتْ
وقصّة موسى عليه السّلام مع الخضر تُرينا كم أنّ نظرة الإنسان قاصرة
وأنّه فعلاً لا يعرف الخير من الشّر
عندما ركب موسى والخضر عليهما السّلام سفينة الصيّادين الفقراء
قام الخضرُ بخرق السفينة
لا شيء أسوأ عند فقير من أن تُثقبَ سفينته التي هي سبب رزقه
هذا بمنظور البشر
ولكن لولا لطف الله لكان بإمكان الأمور السّيئة أن تكونَ أسوأ
كان وراءهم ملكٌ يسلب السّفن
ولمّا مرّ عليهم ووجد سفينتهم مثقوبة تركها لهم ومضى في طريقه
بينما أكملوا هم رحلتهم إلى اليابسة
وأصلحوا سفينتهم واستمرّت الحياة!
أيّهما أسوأ ، ساعات قليلة من التّعب وتعود الأمور سيرتها الأولى
أم أن يأخذ الملكُ سفينتهم ويلقيهم في عرض البحر؟!
يبتلي الله سبحانه بالصّغيرة ليُنجي من الكبيرة!
سبحانه حتى في قدره الصّعب رحمة!

وعندما قتل الخضر عليه السّلام الغلام
كان هذا بمنظور البشر قمّة الشّر والسّوء
هل يوجد أسوأ من أن يفقد الإنسان فلذة كبده
ويدفن بيديه قطعة من قلبه
ولكنّ الله رحيم
يكلمُ الإنسان في الدّنيا ليداويه في الآخرة
فقد سبق بعلم الله سبحانه أنّ هذا الغلام لو كبر سيفتن أبويه عن دينهما
فأي قدر أصعب ، أن يفقدا ولداً ويصبرا لألم الفقد ويربحا الجنّة
أم أن يخسرا الدّنيا والآخرة معاً
بإمكان الأمور السّيئة دوماً أن تكون أسوأ
وهذا الرّبُّ من رحمته جعل في المؤلم من قدره رحمة!

الدّرس الثّاني:

لا يوجد إنسان لم يذق رغيف المصائب
هذه الدّنيا دار شقاء ومكابدة
وقد جاء في كُتب السِّير :
أن ذا القرنين عندما بلغ بابل مرض مرضاً شديداً
فعلم أنّه مرض الموت
وكان وحيد أمّه
فأرسل إليها كبشاً كبيراً وكتب إليها :

أمّاه ، احفظي هذا الكبش عندكِ
وإذا أنا متُّ ، فاذبحيه ، واطبخيه
ثم نادي في النّاس :
من لم تصبه مصيبة فليأكل من طعامنا
ومن أصابته مصيبة فلا يقرب مائدتنا هذه
فلمّا بلغها خبر وفاته
حمدت الله واسترجعتْ ، وعمدتْ إلى تنفيذ وصيّته
ثمّ نادتْ في النّاس كما أمر
ودُهشتْ عندما لم يقرب طعامها أحد
ففهمت الرسالة التي أراد ابنها إيصالها لها
أنّه لا يوجد إنسان إلا وقد كُلِم
ولا عين إلا وقد بكتْ
فقالت : رحمك الله من ولد ، لقد كنتَ واعظاً لي في حياتكَ ومماتك!

.

.

الدّرس الثّالث:

البيوت أسرار
والقصر الكبير ليس بالضرورة فيه مشاكل أقلّ من الكوخ الصّغير!
ولكن إذا لم يتحدّث النّاسُ عن مشاكلهم
فهذا لا يعني أنّه ليس لديهم مشاكل
جاءت امرأة إلى شيخ تريد الطلاق

فقال لها : ولِمَ؟
فقالتْ : لأنّ زوجي لا يُطاق
فقال لها : سأساعدكِ على نيل الطلاق بشرط
أن تطبخي لي طبخة تجمعين محتوياتها من البيوت!
فوافقت الزّوجة ، وعمدت إلى تنفيذ الشّرط على الفور
ذهبتْ إلى أوّل جارة وأخبرتها أنّها تريدُ قِدْراً للطبخ
وإلى الثانية تطلبُ حفنة أرزّ
وإلى الثالثة تطلب كوب زيت
وإلى الرّابعة تطلب كمشة صنوبر
وهكذا ظلّت تدور من بيتٍ إلى بيتٍ حتى جمعت مكوّنات الطبخة
وخلال خلال تجوالها بين البيوت
كانتْ تشرح للنسوة سبب هذا الطلب الغريب
وتقصّ عليهنّ بعض ما تلاقيه من زوجها
فكانت النساء يبادرن هُنّ الأخريات للحديث عن أخلاق أزواجهنّ
فعلمتْ مُراد الشّيخ
وأنّه أراد أن يقول لها : ما أنتِ إلا واحدة من النّاس!
كلّ البيوت فيها مشاكل
فعلمتْ أنّ هذه الحياة لا تكتمل
وأنّ الإنسان إذا نظر في مصائب الآخرين هانتْ عليه مصيبته
فأمسكتْ عليها زوجها وقررتْ أن تعيش!

الدّرس الرّابع:
أحياناً لا يكون في البلاء عقوبة دنيويّة
قد يكون مجرّد امتحان
ولعلّ البلاءات كلّها اختبارات
يريد الله أن يرى ماذا نصنع
يريد أن يجزي الصابر
ويعاقب السّاخط
وما المواقف إلا ورقة امتحان
فإياك أن ترسب!
.
.

الضّفدعُ الأصمّ!

قررتْ مجموعة من الضفادع أن تقيم مسابقة فيما بينها
وكانت المسابقة تقضي أن الضفدع الذي يتسلق البرج
يكون هو الضّفدع الفائز
تجمّعت الحشود في اليوم التالي
وعلتْ أصوات الضفادع قائلة :
مستحيل أن يستطيع أحد تسلّق هذا البرج
بدأ السّباق وأخذت الضفادع تتسلّق
والجمهور يقول مستحيل لن ينجح أحد
أخذت الضّفادع تتساقط واحداً تلو الآخر
بعضهم يسقط من التّعب
وبعضهم يسقط لما يصيبه من الإحباط من صوت الجمهور
وعندما سقطتْ كلّ الضّفادع
بقي ضفدع واحد يتسلّق بهمّةٍ ونشاط
كانت الأصوات تعلو أكثر فأكثر :
مستحيل أن يصل إلى القمّة
ولكنّ الضّفدع تابع تسلّقه بخفّة ورشاقة إلى أن وصل
وعندما نزل سأله الجميع : كيف استطعت الوصول؟!
وكانت دهشتهم عظيمة عندما اكتشفوا
أن الضّفدع الفائز كان أصمّاً!

الدّرس الأوّل

هذه الحياة مليئة بأصوات الإحباط

فلا تصغ إليها

البعض كالضفادع لا شيء يثبت وجودهم سوى نقيقهم

وتذكّر دوماً أنّ الأعلى صوتاً هو الأضعف أثراً

تضع الدّجاجة بيضة واحدةً

فيعرف الجميع أنّ الدجاجة تبيض

وتجمع نملة مؤونة شتاءٍ كامل

فلا يدري عنها أحد

الطّبلُ أعلى الآلات الموسيقية صوتاً

لأنّه أجوف!

وهكذا هم النّاس : أعلاهم صوتاً أكثرهم فراغاً

.

.

الدّرس الثّاني:

لا يُقذفُ بالحجارة إلا الشّجر المثمر

الشّجر العاقر لا يلتفت إليه أحد

فإذا قذفكَ العاقرون بحجارة النّقد

فاعرف أنّك مثمر

أنتَ تُذكّرهم بنقصهم

فالفاشلُ يريدُ للكل أن يكونوا نسخة منه

والمستسلم يريد لكل أن يضعوا أيديهم على خدودهم

وكلما علا صراخهم
اعرفْ أنّك في الطريق الصحيح
كلّ العظماء مشوا يوماً عكس التّيار
لأنّ الطريق الذي يسلكه الجميع ليس بالضرورة طريق صائب
فلا تتنازل عن حقّ تراه
أحياناً الطريق الوحيد لتكسب نفسك
هو خسارة البعض!
فلا تتمسك بالجميع، البعض ليسوا إلا عقبات!

الدّرس الثّالث:
لا تنظر إلى نفسك في عيون مُحبّيك فقط
المُحبّون مُحابون أحياناً
فلا تزهد بمبغضيك!
هؤلاء هم الأقدر على اكتشاف عيوبك
فالأحباب كالنّحل لا يحطّ إلا على الأزهار
والمبغضون كالذّباب لا يحطّ إلا على قذارة
فكما أنك تتعزى بحنان محبّيك
استفد من قسوة مبغضيك
ولكن إياك أن تجعلهم ينالون منك
اصنع من الحجارة التي يرمونك بها جسراً للعبور
ومن المطبّات التي يضعونها في طريقك محطة للاستراحة

وستستريح كثيراً عندما تعرف أنّ في الأرض أشجار لا تعطي إلا الشّوك
وهكذا بعض النّاس!

.

.



الدّرس الرّابع:

عندما قال «جاليلو جاليلي» أنّ الأرض تدور
أحضره القساوسة إلى قاعة محكمة الكنيسة في روما
وألبسوه الخيش وجعلوه يجثو على ركبتيه
ويتراجع عن هرطقته هذه وإلا أحرقوه!
وعندما خرج من المحكمة
ضرب الأرض برجله وقال: ولكنّها تدور!
يمكن للمجتمع أن يكون مريضاً بأكمله ولا يريد أن يشفى!
لهذا أُلقي إبراهيم عليه السّلام في النّار
وطُرد محمّد صلى الله عليه وسلم من مكة
فهل تراجع هؤلاء
هل ألانت النار عزيمة إبراهيم؟!
وهل صرف الطّرد محمداً عن الفكرة التي جاء بها؟!
الأفكار العظيمة لا بُدّ لها من تضحيات

.

.

نصف صديق!

بينما كان الأمير يتجوّل في المدينة سمع تاجراً يسألُ ابنه

كم صديقا لديكَ؟

فقال الابن : أربعون صديقاً

فأجابه الأب : أنا بهذا العمر ولا أملك إلا صديقًا ونصفَ صديق!

سمع الأميرُ قول التاجر فسأل حاشيته:

هل يعرف أحد منك ماذا قصد بصديق ونصفَ صديق؟

قالوا : الصديق نعرفه وأما النّصف صديق فلا ندري عنه شيئاً !

فقال الوزير : لعلّ التّاجر كان يمزح مع ابنه

فقال الأمير : لا أحضروا لي التاجر لأسأله

ويحضر التاجر فيسأله الأمير هل لكَ أن تخبرني ما معنى صديقاً ونصفَ صديق؟

فقال التاجر . أنا بخدمتك يا مولاي ولكن هذا لا أستطيع شرحه ، سأريكَ إياه!

فقال الأمير : كيف؟

فقال التاجر : اطلبْ من المنادي يدور في الأسواق معلناً إعدامي يوم الجمعة!

فقال الأميرُ متعجّباً . ماذا؟

فقال التاجرُ : كما أقول لكَ يا سيّدي ، وستعرفُ معنى الصّديق ونصفَ الصّديق!

يخرج المنادي يوم الجمعة ويعلن
إعدام التاجر لارتكابه جرماً عظيماً!
يجتمع الناسُ، والأمير واقف، والتّاجر ينتظر تنفيذ الحُكم
يتقدّم أحد الأشخاص ويقف بين يدي الأمير ويقول له: مولاي أنا
على استعداد لدفع أي مبلغ تطلبه مقابل إعتاق التاجر!
فيقول الأمير: لا، لا يمكن إنّ جرمه عظيم!
فقال الرّجل: أتنازل عن نصف أملاكي
فقال الأمير: ولا كل مالك يكفي

فالتفتَ الرّجلُ إلى التّاجر وقال له:
أسمعتَ يا أخي، تبرّعتُ بكلّ مالي لأفديك...
ولكنّ الأمير رفض، فهل وفيتُ معك يا صديقي؟!
فردّ التّاجرُ: نِعمَ الوفاء فانصرف بأمان

ويُنادى بقرب إعدام التّاجر
فيأتي رجل مسرعاً ويقف بين يدي الأمير
ويقول له: أتريد إعدام التّاجر؟ إنّه بريء وأنا المذنب!
ويلتفتُ إلى الناس ويقول: أيها النّاس التّاجر بريء
أنا من فعل هذه الفعلة النّكراء وأنا من يجب أن يُعدم
فيقولُ الأمير: حسناً سنعدمك مكان التّاجر!
فقال الرّجل: اعدموني، فأنا المذنب!

يأخذ الحرس الرّجل إلى منصّة الإعدام ويوثقونه بالحبال
ويسأله الأمير: ألا ترجع في كلامك؟
فيقولُ الرجل: لا، اذهب يا أخي إلى أهلك وعيالك
وحينها التفت التّاجر إلى الأمير مبتسماً وهو يقول:
أرأيت الفرق يا مولاي بين الصديق ونصف الصّديق؟!
فمن يفديك بنفسه هو الصّديق ومن يفديك بماله نصف صديق!

.

الدّرس الأوّل:

في القصة مبالغة لا شك
فمن يرى أنّك أغلى من المال فهو صديق رائع
تمسّك به بأظفارك وأسنانك
هؤلاء لا تعثر عليهم كلّ يوم
ولا يوجد منهم نسخ كثيرة
وإذا كنا سنعتبر أن الصديق هو الذي يضحّي بحياته لأجلنا
فالأجدر أن لا نبحث عن أصدقاء
لأننا أيضاً بهذا المفهوم لسنا أصدقاءً لأحد!

.

.

الدّرس الثاني:

عندما نفترض أن من تمام الصداقة أن يموت الصديق حرفيّاً لأجلنا
فنحن لا أصدقاء وإنما محاربين!

لماذا يجب أن تكون حساسا أثمن من حياة الآخرين؟!
التضحية مفهوم نبيل
ولكن من النبل أن لا نرضى أن نُضحّي بالآخرين لنعيش
الذي يفرح لفرحك هو صديقك
والذي يحزن لحزنك هو صديقك
والذي يمدُّ لك يد العون هو صديقك
فلا تكن متطلباً أكثر مما يجب فالنّاس ليسوا جنودك!
والحياة ليست رقعة شطرنج أنت ملكها وعلى الجميع أن يموت في سبيلك!
فلا تنظر إلى الأصدقاء على أنهم حطب عليهم أن يحترقوا لتتدفأ!
مواقف صغيرة يجب أن تلقى عندنا الاستحسان والتّقدير
.

الدّرس الثالث:

أعظم صداقة عاشت على ظهر هذا الكوكب هي صداقة النبيّ صلى الله عليه وسلم أبي بكر
كان أبو بكر متفانياً بطريقة أذهلت التفاني نفسه!
وكان محمد مقدّراً بطريقة أذهلت التقدير نفسه!
وعندما جاءت قريش إلى أبي بكر تخبره أن صاحبه يقول أنه قد أُسري به إلى بيت المقدس في شطر ليلة
قال لهم أبو بكر: لو أخبرني أنّه عُرج به إلى السّماء لصدّقته!

فلم يقل النبيّ هذا الرّجل ليس صديقي لأنه لم يمت من أجلي!
وإنّما سمّاه منذ تلك اللحظة صدّيقاً!
وعندما ناول أبو بكر النبيّ قدح اللبن ليشرب
وقال فيما بعد يصف تلك اللحظة: فشرب النبيّ حتى ارتويتُ!
كان النبيّ وقتها يُهدّئ من روعه ويقول له: يا أبا بكر ما ظنّك باثنين الله ثالثهما؟!
هذه هي الصداقة، أخذ وعطاء
لهذا ما احتاجه النبيّ مرّة إلا وجده
وما احتاج أبو بكر النبيّ إلا وجده
وكان من الطبيعيّ يوم اختلف أبو بكر وعمر خلافاً عابراً
أن يقف النبيّ في المسجد وقفة الوفيّ ويقول:
أبو بكر آمن بي إذ كفر النّاس، وصدّقني إذ كذبني النّاس، فهل أنتم مخلّون إليّ صاحبي؟!

الدّرس الرّابع:

نحن لا نريد حياة أصدقائنا لأنها عندنا غالية
موقف شجاع يكفي
وكلمة حلوة تكفي
ورأي صادق يكفي
ونصيحة من القلب تكفي

ويد حانية تمسكنا عندما نسقط تكفي
وتربيتة على كتف في لحظة انكسار تكفي
فقدّر كل موقف مهما كان بسيطاً
الحياة مواقف فلا تطلب من أصدقائك أكثر من موقف!

درس الشّاحنة!

يقولُ سائحٌ: ركبتُ سيّارة الأجرة ذات يوم متّجهاً إلى المطار
وبينما السّائق ملتزم بالمسار الصحيح
إذ قفزتْ أمامنا سيّارة بشكل مباغت
ضغط السّائق الذي أركبُ معه على المكابح بقوة
فانزلقت السّيارة بشكل مخيف إلى أن توقّفتْ على بعد خُطوة من السّيارة الأخرى
ورغم خطئه، أدار سائق السّيارة الأخرى رأسه نحونا
وانهال علينا بالصراخ والشّتائم!
فما كان من سائقي إلا أن ابتسم ولوّح له!
استغربتُ من فعله وقلتُ له: لماذا تبتسمُ له؟ لقد كاد أن يقتلنا!
هنا لقنني سائقي درساً لن أنساه ما حييت
أسميته فيما بعد «درس الشّاحنة»!
قال لي: كثيرٌ من النّاس مثل الشّاحنة الكبيرة
تدور في الأرجاء محملة بأكوام الإحباط
وعندما يتراكم الإحباط والخذلان والهمّ في داخلهم
يفرغونها في أوّل مكان سانح!
فلا تأخذ الأمور بشكل شخصيّ أبداً
كل ما في الأمر أنّك مررتَ لحظة إفراغها!
فقط ابتسم، ولوّح لهم، وتمنى أن يُصبحوا بخير

ثم امضِ في طريقك واحذرْ أن تأخذ نفاياتهم معك
لتلقيها أنتَ على غيرك
دعْ هذه النّفايات تقف عندك
كلّ إنسان فيه ما يكفيه!

الدّرس الأوّل:

الطريقة الوحيدة للعبور ببعض المعارك هو عدم خوضها منذ البداية!
والشجاع ليس الذي يربح الخصومات
وإنّما الذي يتلافاها
أساساً بعض المعارك ليس فيها لذّة النّصر ولو انتصرت!
لتفاهتها أو تفاهة خصومها يتساوى فيها النّصر والهزيمة!
فلا تخض معركةً عابرةً قد تكلّفك الكثير
ولا تغرينّك معركة سهلة بخوضها
ما فائدة النّصر إذا حققناه وخسرنا أنفسنا
المهزوم أحياناً قد يربح أكثر من المنتصر!
يحدث هذا عندما يخسر المهزوم وهو يقاتل في سبيل شيء يستحق
ما هذه الخسارة وقتذاك إلا انتصار مقنّع
على العكس تماماً من هذا
يمكن للمرء أن يكون منتصراً في الظاهر
ولكنّه في الحقيقة مهزوم حتى أعمق نقطة فيه
مهزوم بإنسانيته وأخلاقه وقيمه ومبادئه
فأي نصر يُعوّض هذه الخسارة الفادحة!

الدّرس الثّاني:
لا تأخذ الأمور على محمل شخصيّ
البعض ساخطون على الحياة بكل ما فيها
وكل ما في الأمر أنك بعض ما فيها!
لو لم تكن أنتَ ساعة سخطهم هذه لكان غيرك
عندما تنظر إليهم على أنّهم أصحّاء سيغريك شيطانك بالانتقام
ولكن جرّب أن تنظر إليهم كمرضى!
ستختلف موقفك منهم كليّاً
وسينقلب غضبك منهم إلى شفقة عليهم!
تماماً كما لو شتمكَ عاقل ومجنون
فحين يشتمك عاقل تغتاظ وتشتعل وتجري نار الانتقام حارّة في عروقك
ولكن حين يشتمك مجنون تبتسم
الأمر وقتها لا يعدو كونه دعابة
يختلفُ موقفنا من حدث ما بناء على مرتكبه
ستستريح إذا بادلتهم الشفقة بالخصام
والدّعاء بالانتقام
وليس في الجملة خطأ، فالباء تدخل على المتروك!

الدّرس الثّالث:
البعض يرون أنّ الحقّ معهم دوماً
فلا تُتعب نفسك معهم

لو قتلكَ للامكَ لأملكَ وقعتَ في وجه رصاصته
ولو طعنك لعاصاكَ بتهمة تلويث سكّينه
هؤلاء يعتقدون أنّ الشمس تُشرق لأجلهم وعلينا أن ندفع لهم ضريبة
لأنهم سبب في تدفئة هذا الكوكب وناره
ويعتقدون أنّ السماء تمطر لأجلهم وعلينا أن ندفع لهم ضريبة
لأنهم سبب في عدم موتنا عطشاً
هؤلاء يوجد منهم الكثير فتحاشَهم ما استطعت
الشّخص الذي لا يقف عند الحقّ لا يستحقّ جدالاً حتّى
فجاورهم بهدوء كما تتجاوز المطبّات في الشارع
وانعطف عنهم كما تنعطف عن الحفر التي خلّفتها البلدية!

الدّرس الرّابع:
البعض لا يحتاج أحياناً إلى سبب ليُخاصم
كالثعلب الذي وقف في أعلى النّهر وقال للخروف الواقف أسفل منه
أنت تُلوّث عليّ ماء شربي
فقال له الخروف : الماءُ يجري من أعلى إلى أسفل وأنتَ تشربُ قبلي
فقال له : ألستَ من شتمني العام الماضي؟!
فقال له الخروف : يا سيّدي ، أنا ابن ستة أشهر
فقال له : إذاً أبوك هو الذي شتمني!

فقال له الخروف: وُلدتُ يتيماً ولا أعرفُ أبي
فامتصّ عليه وقال له: لعلّ الذي شتمني كان جدّك!
الثّعالب البشريّة كثيرة
تجوب أرجاء الأرض وتنهش هنا وهناك
لا تحتاج إلى سببٍ لتنهش وتخاصم وتبطش
إنها مستسلمة لغريزتها الحيوانيّة
ومنقادة للشرّ المستعر فيها
ما هي إلا دواب ربط الشيطان فيها عربته
يجرّهم حيث شاءا
.
.

لا تتنازل عن أحلامك!

طلب المعلّم من تلاميذه أن يكتبوا موضوع الإنشاء التالي
ماذا تريد أن تُصبح في المستقبل؟!
كان من بين الطلاب طالب فقير اسمه مونتي وقد كتب لمعلّمه :
عندما أكبر سأملك مزرعة شاسعة المساحة
فيها آلاف الخيول والمواشي!
أعطى المعلم مونتي درجة ضعيف جداً
متذرّعاً أن هذا حلم بعيد المنال على طالب فقير
ثم قرر أن يمنح تلميذه فرصة أخرى
وقال له : سأمنحك فرصة أخرى لتعديل علامتك
اكتبْ محدداً ماذا تريد أن تصبح في المستقبل؟!
فقال له مونتي : احتفظْ بعلامتك وسأحتفظ أنا بحلمي!
وبالفعل احتفظ المعلم بالدّرجة المتدنية ومونتي بالحلم الجميل!
واليوم أصبح مونتي مالكاً لمزرعة شاسعة المساحة في كاليفورنيا فيها
آلاف المواشي والخيول!

الدّرس الأوّل:
كنتُ في الصّف الثّالث الإبتدائيّ
عندما قذف مدرّس اللغة العربيّة دفتر التّعبير في وجهي وقال:
ستموتُ قبل أنْ تكتب جملة مفيدة!

يشهدُ الله أنّ مجموع ما أكلته من ضرب خلال عمري
يفوق ما يأكله لصٌّ أحذية بباب مسجد!
ولكنّي نسيتُ كلّ هذا الآن
حتّى أنّي مدين له!
لأنه كان دوماً يردّني إلى جادّة الصواب
وإنّ كثيراً من ضربوني كانوا يضربونني بقلوبهم لا بأيديهم
ولكن كلمة المعلم كانت أشدّ إيذاءً من ذلك الضرب المبرح كلّه
لأنّ الندوب في الجسد تذهب
أما الندوب في القلب فتبقى!
ولقد بقي هذا الندب طريّاً في قلبي طيلة عمري
لهذا أوّل كتاب ألّفته كتبتُ في صفحة الإهداء:
إلى مدرّس اللّغة العربيّة الذي قذف دفتر التعبير في وجهي وقال
ستموت قبل أن تكتب جملة مفيدة!
يشهد الله أنّي لا أحمل له الآن في قلبي إلا الحُبّ
فقد علّمني كثيراً غير درسه هذا
على الأقل قد يكون ترك فيّ حافزاً من حيث لا أدري!

الدّرس الثّاني:
في كل إنسان طاقة وقدرة ليصبح شخصاً مميّزاً
نحنُ نقوده ليبرز هذه الطاقات
ونحن ندفنها فيه
فإذا رأيتَ صغيراً ذا موهبة إيّاك أن تسخر منها

والعظماء لا يولدون عظماء، وإنما تُصنعون!
مشارك في صناعتهم
أباً كُنتَ، أو أمّاً . . . مدرّساً، أخاً، عمّاً، جدّاً
لا تزهد بالمشاركة!
كلمة لا تُلقي لها بالاً تشحذ همة حتى تصبح حدة كالسكين
وكلمة لا تلقي لها بالاً تقتل موهبة وتُحيل إنساناً من مشروع
شخص مميز إلى شخص بائس!

الدّرس الثّالث:
لا تسخرْ من حلم أحد
لم يمتْ أحد بجرعة مفرطة من الأحلام
غير أنّ الذين ليس لديهم أحلام ماتوا أحياء!
ما تراه مستحيلاً سيأتي يوم ويتحقق
كلّ ما في الدّنيا كان حلماً في يوم من الأيام
الطيران كان حلماً وقد مات ابن فرناس في سبيل تحقيقه
والصّعود إلى القمر كان حلماً
والأشخاص الذين قالوا أيام القطار السحاريّ أنّه لا يمكن تحقيق
شيء بعد
ماتوا ولم يشهدوا مترو الأنفاق!
ولا الصّواريخ العابرة للقارات، ولا الإنترنت، ولا مسابير الفضاء،
ولا الكبسولات العملاقة التي تجوب أرجاء الكون!
لا يمكن تحقيق شيء لم يكن حلماً في البداية

فاحلم ما شئت
ولا تسخر من أحلام أحد
فالحياة دون أحلام جحيم لا يُطاق!

برتقالة في زجاجة

أعطى الأبُ ابنه زجاجة فيها برتقالة كبيرة
تعجّب الصبيّ كيف استطاع الوالد
إدخال هذه البرتقالة الكبيرة من فتحة الزجاجة الضّيقة
وأمضى يومه مفكّراً في الأمر
ولّما وجد الأمر غير منطقيٍّ
سأل أباه إن كان في الأمر خدعة
ابتسم الأبُ، وأخذ ابنه من يده إلى حديقة المنزل
وجاء بزجاجة فارغة وربطها بغصن شجرة برتقال حديثة الثّمار
ثم أدخل إحدى الثّمار الصّغيرة في الزّجاجة وتركها
ومرّت الأيام والبرتقالة تكبر داخل الزّجاجة
حتى استعصى إخراجها منها
حينها عرف الطفلُ السّر وزال عنه العجب
عندها وجد الأبُ الفرصة سانحة ليُعلّم ابنه الصّغير درساً فقال
البرتقالة هي الأخلاق وأنتَ الزّجاجة
إذا امتلكتَ الأخلاق وأنت صغير
ستنمو في داخلك بحيث يصبح من العسير إخراجها منك!

الدّرس الأوّل:

أفضل وسيلة للتّربية هي التّربية من خلال الموقف
والموقف قد يكون مشهداً حيّاً
وقد يكون قصّة
فالطّفل يُفكّر بحواسه وليس لديه قدرة على التّفكير المجرّد
خصوصاً في سنواته الأولى
فالصّدق والأمانة كلّها مفاهيم مجرّدة
لا يمكن أن يفهمها إذا لم تكن في قالب حيّ
أي تحويلها من فكرة إلى موقف
ومن نظريّة إلى سلوك وتطبيق
حتى الكبار يتعلّمون بالقصّة والموقف أكثر من الفكرة المجرّدة
مع قدرتهم على إدراك المفاهيم المجرّدة
لهذا نجد للقصّة حيّزاً كبيراً في القرآن الكريم
فالله يُعلّمنا العفّة في قصّة يوسف عليه السّلام
ويُلخّص لنا الصّراع بين الحقّ والباطل في قصة آدم عليه السّلام
ويخبرنا عن مشقّة الدّعاة في قصة نوح عليه السّلام
ويحدّثنا عن الثّبات أمام الموت في قصتي آسيا بنت مزاحم والسّحرة مع فرعون
ويحدّثنا عن الصّبر في قصة أيوب عليه السّلام
ويُحدّثنا عن نصر القلّة المؤمنة على الكثرة الكافرة في قصّة طالوت
وعن قدرته المطلقة التي يقول فيها للشيء كُن فيكون في قصّة عيسى عليه السّلام

وعن حرقه لنظام الكون في قصتي إبراهيم وموسى عليهما السّلام
فالأوّل شقّ له البحر بعصا
والثّاني عطّل له وظيفة النّار!

الدّرس الثّاني:
الطّفل عجينة طريّة تُشكّلها كما تريد بيسر وسهولة
وإذا ما تقدّم الزمن بالطفل قست العجينة وأخذت شكلاً معيّناً
وأصبح من العسير إعادة تشكيلها على غير الشّكل الذي أخذته
ويحدث كثيراً أن تنكسر إذا ما حاولنا تعديلها!
لهذا لقّنوا أولادكم القيم والمبادىء في سنّ مبكّرة
لا تصغوا للذين يقولون: الطفولة للعب
الطفولة للتربية، وهذا هدي نبوي
وقد كان صلى الله عليه وسلم يُعلّم الصّغار الآداب والعقيدة
وانظر إليه مُحدّثًا ابن عبّاس:
«يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك»
يُعلّمه منذ نعومة أظفاره أنّ العبد إذا كان لله كما يريد
كان الله له ما يريد!
«يا غلام سمّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك»
أدب الطّعام في جملة وموقف
ثمّ أدقّ تفاصيل العقيدة
«إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله»
يُعلّمه أنّ الكون بيد الله وهو قبلة الدّعاء والاستعانة

يصرفُ قلب قلب الصّبي قبل بصره عن غير الله
لأن القلب في طفولته إذا تجذّر فيه الإيمان الصحيح فلن تنمتّ عراه!
ويُتابع . . .
«واعلم لو أنّ الأمة اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لكَ
ولو اجتمعوا على أن يضرّوك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»
هي سرّ مبكرة يُعلّمه أكبر ما في العقيدة - التوحيد الخالص!
وأنّ البشر ليسوا إلا أسباب
يُحقق الله على أيديهم ما قضاه
وأنّه سبحانه قد قضى وقدّر ما هو كائن
فلا يتصرّف إنسان إلا بقضاء الله وقدره وتقديره
فلا يزيد إنسان في رزق إنسان حبة قمح
ولا يُنقص إنسان من عمر إنسان لحظة
البشر أضعف من أن يتحكّموا بأرزاق وآجال بعض
ثم يختم بأحلى عبارة يطمئن لها القلب
«رُفعت الأقلام وجفّت الصحف»
وما هو كائن كُتب
وما لم يُكتب لن يكون
كتاب الكون كلّه في اللوح المحفوظ
كلّ ما يفعله البشر أنّهم يُنفّذون ما فيه بالحرف!



الدَّرس الثَّالث:

قد يسأل إنسان إذا كان الله قدّر ما هو كائن
فلِمَ يُحاسبنا على قضائه وقدره!
وهذا سؤال مشروع تسأله النّفس
وجوابه أنّ الله مطلق العلم
وحين أعطانا مطلق الحرّية في الاختيار بين الخير والشّر
علمَ بعلمه المطلق ما سنفعل وما سنجترح
علمَ أنّ فلاناً سيقتُل
وفلاناً سيتصدّق
فلم يُجبِر قاتلاً على القتل
ولا متصدّقاً على الصّدقة
ولو كان لكَ ولد تعرف قدراته وإمكاناته وأفكاره
يمكنك أن تتنبّأ ماذا سيفعل في موقف ما
فإذا جاء بحسب ما تنبأت فهل تكون أجبرته؟!
قطعاً لا!
وهذا أنتَ بعلمك القاصر الذي قد يصيب وقد يخيب
ولله المثل الأعلى، فهو مطلق العلم الذي لا يخيب علمه
ولا يخرج إنسان عن السطر الذي كتبه سبحانه!

الحافلة

حافلة مليئة بالرّكاب
في منتصف رحلتها بين مدينتين تفصل بينهما مسافة شاسعة
فجأةً تغيّر الطقس
وبدأت السماء بصبِّ جام غضبها على الأرض
مطراً ورعداً وبرقاً
لاحظ ركّاب الحافلة أن البرق يدنو وكأنه يأتي نحو الحافلة
ثم ينتقل إلى مكان آخر
ولا يلبث أن يعود كأنّه يريد الحافلة لا غير
عندها توقّف سائق الحافلة على بعد عشرين متراً من شجرة
وقال للرّكاب : معنا في الحافلة شخص كُتب له الموت اليوم
وبسببه سنُقتل جميعاً
أريد من كل واحدٍ أن يذهب ويلمس الشجرة ويعود
الشخص الذي كُتب له الموت اليوم سيموت
وينجوا البقية!
بدأ السّائق بنفسه فذهب ولمس الشّجرة وعاد
وهكذا بدأ الرّكابُ واحداً تلو الآخر بالذهاب ولمس الشجرة
وفي اللحظة التي كان أحدهم يصل إلى الحافلة
كان يقفز فرحاً فرحة الذي نجا من الموت بأعجوبة!
وعندما جاء دور الرّاكب الأخير

وشفه الجميع بنظرات الاتهام
كان ذلك الرّاكبُ خائفاً ولكنّه انصاع تحت إلحاح الآخرين
مشى بخطى متثاقلة نحو الشّجرة
ولّما لمس جذعها سمع صوتاً هادراً
فالتفتَ ناحية الصوت
ليجد أن برقة قد ضربت الحافلة ومات من فيها

.

.

الدّرس الأوّل

أكثر ما يشغل النّاس هما الرّزق والأجل
وكلاهما قد كُتب قبل أن نخرج إلى الحياة!
أول شهيق لأحدنا كان في اللحظة التي حُددتْ بدقّة
وآخر زفير لأحدنا سيكون في اللحظة حُددتْ بدقّة
فحتى الهواء رزق ولا يملك أحد أن يمنعه من أحد
الاحتباء لن يزيد في العمر لحظة
والإقدام لن يُنقص من العمر لحظة
هناك أطفال يشرقون بحليب أمهاتهم ويموتون
هكذا في أحضان أمهاتهم
أكثر الأماكن دفئاً وحماية وحناناً
لأنّ الذي أعطى العمر أعطاه بهذا القدر
وهناك شيوخ احدودبتْ ظهورهم
ولانتْ عظامهم

بعضهم يتمنى الموت ولا يدركه
لأنّ الذي أعطى العمر أعطاه بهذا القدر
وبين أول شهيق وآخر زفير
عمراً كاملاً كبيراً قد كُتبتْ حروفه قبل مجيئنا هو كتاب الرِّزق
كلّ ما هو لكَ سيأتيكَ رغم ضعفك
وكلّ ما ليس لكَ لن تناله بقوّتك
تُزرع نخلة في قلب صحراء بعد رحيل
ويسقيها آخرون
ويقطف تمرها آخرون
ويشتريها آخرون
ويحملها آخرون من سوق إلى سوق
ثمّ تُحمل حبّة التمر إليك!
هذا لأنّ الله قد قضى منذ البداية أنّها لك
آلاف الأشخاص يعملون بكدّ كخلية النمل
ليُوصلوا إليك رزقاً قد كُتب لك
وأنت وآلاف غيرك تعملون دون أن تدرون لتوصلوا رزقاً قد كتبه الله
لإنسان على أيديكم

.

.

الدّرس الثّاني

حُبّ البقاء غريزة إنسانيّة
يستوي فيها المؤمن والفاجر ، والذّكر والأنثى ، والكبير والصّغير

كلنا نريد أن نعيش أكثر
أو بالأحرى كلنا لا نريد أن نموت!
ولكنّه سبحانه قد جعل الموت كأساً ليتجرّعه كلّ النّاس
طال الزمان أم قصُر
لهذا أفضل من تمني العمر
هو التفكير كيف سنعيش هذا العمر الذي كُتب لنا
وماذا سنكتب في الكتاب الذي سنقرأه غداً بين يديه سبحانه
فهو لن يحاسبنا على عمر قصير عشناه
ولن يكافئنا على عمر طويل قضيناه
سيحاسبنا عمّا فعلناه في هذا العمر طويلاً كان أم قصيراً

.

.

الدّرس الثّالث:

يُروى أنّ ملك الموت كان صديقاً لنبيّ الله سُليمان عليه السّلام
يدخلُ عليه ليزوره بين الفينة والأخرى
وكان في زياراته تلك يأتيه بهيئة البشر
وحدث ذات مرّة أن وجد ملكُ الموت في مجلس سليمان عليه السّلام أحد وزرائه
فأخذ يتفرّسُ فيه والدّهشة بادية على وجهه
ثمّ قام وغادر المجلس
سأل الوزير سليمان عليه السّلام :
من هذا الرّجل الذي كان يطيل النّظر إليّ

فقال له سليمان عليه السّلام . هذا ملك الموت!
ارتعدت فرائص الرّجل وارتجت أوصاله
وقال لسليمان عليه السّلام :
ناشدتك الله يا نبيّ الله أن تأمر الرّيح أن تحملني إلى الهند
فإنّي لا أُطيق الجلوس في أرض تفرّسني فيها ملك الموت!
حاول سُليمان عليه السّلام أن يُذكّره أنّ الأعمار بيد الله
وأنّ لكلّ إنسان أجل مكتوب
ولكنّ الوزير على عدمه بهذا أصرّ على طلبه
فما كان من سُليمان عليه السلام إلا أن طلب من الرّيح
أن تحمله على جناح السّرعة إلى الهند
وبعد ساعة دخل ملك الموت على سليمان عليه السّلام
فسأله لم كنتَ تطيل النظر إلى الوزير؟!
فقال ملك الموت . إنّ الله أمرني أن أقبض روحه في الهند
فقلتُ في نفسي ما الذي سيحمل هذا إلى الهند
ولمْ يتبقّ من عمره إلا القليل
ولكنّي علمتُ أنّ الله لا يخلف وعداً
فلما ذهبتُ إلى الهند وجدته ينتظرني هناك!

الدّرس الرّابع:
إنّ في حياة النّاس لعبرة
خالد بن الوليد خاض أكثر من مئة معركة

ولا يوجد في جسده موضع شبر
إلا فيه ضربة سيف أو طعنة رمح
لكنّه بهاية المطاف مات على فراشه
لأنّ الذي قضى على خالد أن لا تقتله المعارك
هو الذي قضى أن يموت كثيرٌ من النّاس
في غرفة العناية المركّزة!
الدّنيا دار أسباب تحكم الناس ولا تحكم الله سبحانه
في بطن الحوت المفترس كان مخبأً يونس عليه السلام
وفي بطن النار التي من المفترض أن تكون ملتهبة كان مخبأً إبراهيم عليه السلام
عندما يريد الله من حوت مفترس أن لا يقتل فإنه يمتثل
وعندما يريد سبحانه لشربة ماءٍ أن تقتل
يَشْرَقُ فيها أحدنا ويموت!
لهذا علينا أن نُسلِّم لله في قضائه
إذا أخذ أحبتنا فهذا من عدله
وإذا أبقاهم لنا فهذه من رحمته
فإذا عاملنا بعدله علينا أن نصبر
وإذا عاملنا برحمته علينا أن نشكر



الأمُّ

ماتت أمٌّ لطفل لم يتجاوز الثّامنة من عمره
فتزوّج أبوه امرأةً ثانية
وسأل ابنه ذات يوم :
ما الفرق بين أمّك القديمة وأمّك الجديدة؟!
فردّ عليه الصّغير بكلّ براءة :
كانتْ أُمي الحقيقيّة تكذبُ عليّ
أمّا أمي الجديدة فصادقة!
تعجّب الأبُ من كلام ابنه
ورمقه بنظرات الدّهشة والاستغراب وسأله : كيف هذا؟!
فقال الصّغير : عندما كنتُ ألعبُ وأُغضبُ أُمّي
كانت تقول لي : إذا أنتَ لم تنتهِ من عصيانك
وطغيانك هذا فلن أُطعمك!
ولكنّي لم أكن آبه لقولها
لأنّي كنتُ أعرف أنّها ستخرجُ هائمة على وجهها
باحثة عنّي في أزقّة القرية
لتعيدني إلى البيت وتطعمني!
أمّا الآن عندما ألعبُ تقول لي أُمي الجديدة :
إذا لم تنتهِ عن اللعب فلن أُطعمكَ!
وها أنا جائع منذ يومين!

الدّرس الأوّل:

الدّنيا أُمّ
تُذيقها ألم الحمل
وألم الولادة عندما تهدينا الحياة
وألم الرّضاعة عندما نحرمها لذّة النوم
وألم التّربية وهي ترعانا نكبر شبراً شبراً
وألم الهمّ ونحن على مقاعد الدّراسة
وألم القلق عندما نبحثُ عن وظيفة
وألم الفقد عندما نتزوّج ونبتعد
فما الذي تهدينا إيّاه هي
نركلها بعنف ونحن أجنّة فتتحسّسُ بطنها وتبتسم
نذيقها الموت ونحن نخرج إلى الحياه
فتسأل عمّا نريد أن تضمنا
نوقذها في لحظة نومها فتهزّ لنا لننام
نتزوّجُ فتسعد
ننجبُ فتطير فرحاً
نبتعدُ فتشتاق
نقتربُ فتضم
تعطي دون مقابل
كالشمعة تحرق نفسها فقط لتضيء للآخرين

.

الدّرس الثّاني:
قال الله لموسى عليه السّلام يُذكّره:
«فرجعناك إلى أمك كي تقرّ عينها ولا تحزن»
لو لم يرد في الأمهات إلا هذه لكفى
معها زوجها وبقيّة أولادها
ولكن في القلب غصّة
لا يزيلها إلا أن تضمّ موسى إلى صدرها!
وكلّ أم هي أم موسى
هذا الحبل السريّ الذي يقطعونه في المستشفيات لحظة الولادة
ليس إلا حبلا واهياً
هناك حبل أمتن بكثير هو حبل القلب
هذا الحبل لا يستطيع أحد أن يقطعه
فما دام قلبها نابضاً فحبل الحُبّ متين!
فهي كتلة من الحنان
في قلبها نار حُبٍّ لا تنطفىء
حتى وأولادها في قمّة عقوقها
تكون وهي في قمة شفقتها
قلوب الأمهات ليست مضخات دم
قلوبهنّ محاريب صلاة
تفيض عن آخرها بحلو الدّعاء

الدّرس الثّالث:

سُئلتْ أعرابيّة : أيّ أولادكِ أحبّ إليكِ

فقالت :

صغيرهم حتى يكبر

ومريضهم حتى يشفى

وغائبهم حتى يعود

هكذا هي الأمّ

للصّغير طعاماً وسقاءً

وللمريض دواءً وحناناً

وللغائب دعاءً واشتياقاً

تُوزّع الحُبّ فيزداد في قلبها

تعطي منه فيرتدّ إليها مضاعفاً

محكومة بالحبّ مهما حاولت أن تخفي حبّها عندما تغضب

حتى عندما تغضب وتضرب ابناً

تضربه بقلبها لا بيدها

وعندما تدعو بالشرّ لسانها يقول اللهم استجب

وقلبها يقول اللهم لا تستجب!

.

.

الدّرس الرّابع:

إذا تزوّجت امرأةً لها أولاد
فكن لهم أباً ولا تكن جلاداً
وإذا تزوجت رجلاً لديه أولاد
فكوني لهم أماً ولا تكوني عليهم سيّدة
ما ذنب الصغار إن كانوا أبناء رجل آخر
وما ذنب الأطفال إن كانوا أبناء امرأة أخرى
هؤلاء أمانة وضعها الله عندنا
لينظر ما نفعل بها
ثمّ إنّ الصّغير لا يبقى صغيراً
غداً يكبر الأولاد
ويجني كلّ إنسان ما زرع
من زرع أولاداً سيقطف البرّ لأنّ المعروف لا يضيع
ومن زرع جلادين سيكتوي بسياطهم لأنّ الظلم دين سيوفّى!

.

.

التقليد الأعمى!

يُحكى أنّ فلاحاً كان يملكُ حمارين
وقرر في يوم من الأيّام أن يُسافر للتجارة
حمل على الحمار الأوّل ملحاً
وحمل على الحمار الثّاني صحوناً وقدوراً
وانطلق يجرهما إلى سوق القرية المجاورة
وفي منتصف الطّريق شعر الحمار حامل الملح بالتّعب
حيث كانت كمية الملح على ظهره أثقل من كميّة القدور على ظهر صاحبه
الذي كان يسيرُ سعيداً بحمله الخفيف
فقرر الحمار حمل الملح من شدّة التعب والحرّ
أن ينغمس في بركة من الماء كانت على جانب الطريق
علّه يُبرّد جسمه ويخفف من تعبه
فلمّا خرج من البركة شعر كأنّه بُعث من جديد
فقد ذاب الملح على ظهره في الماء!
وخرج نشيطاً كأنّه لم يذق تعباً من قبل
فلما رأى الحمار حامل القدور ما أصاب صاحبه من النّشاط
قفز في البركة فامتلأت القدور بالماء
ولما خرج من البركة شعر كأنّ ظهره يكاد ينقسم قسمين
فقد صار يحمل القدور وقد امتلأت ماءً

الدَّرس الأوّل:

الملحُ والمذور على ظهور الحمير
كالهموم على ظهور النّاس
والنّاسُ أرفع قدراً وأعلى مقاماً
ولكن ما جعل العربُ التشابيه إلا لتقريب المعاني
والأمثلة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب!
لكلّ إنسان في الحياة همّه وما يُثقل كاهله
بعضنا همّه ثقيل ينوء تحته صاحبه
وبعضنا حمله خفيف لا يكاد يشعر به
حلم شخص قد يكون واقع شخص آخر وهو لا يلتفتُ إليه
الحذاء هو كلّ ما يتمنّاه طفلٌ حافٍ
والتّخفّي هو كل ما يتمناه شخصٌ فقد قدميه
كوخٌ صغيرٌ هو كلّ ما يتمنّاه شخصٌ بات في العراء
وبيتٌ كبيرٌ هو كلّ ما يتمنّاه صاحب الكوخ الصّغير
صاحب البيت الكبير ينظر إلى ما يملكه صاحب القصر من مال
وصاحب القصر ينظرُ إلى ما يملكه صاحب الكوخ من صحّة!
هذه الحياة لا تكتمل
وراء كلّ أُعطية حرمان!
والالتفات لما في أيدي النّاس يُفسد علينا متعة الاستمتاع بما في أيدينا
ولكن هذا لا يعني أن نستسلم لواقعنا
وأن لا نسعى جاهدين لحلّ مشاكلنا

الدّرس الثّاني:

إيّاك والتقليد الأعمى

لو داوى الأطباء كلّ المرضى بنفس الدّواء لماتوا جميعاً

دواء شخص قد يكون سمّاً لآخر

والطّعام الذي يُغذّي إنساناً

قد يتسبب بموت آخر يُعاني حساسية تجاهه

إذا حلّ أحدهم مشكلته بالمال

فهذا لا يعني أنّ المال يحلّ كلّ المشاكل

وإذا حلّ أحدهم مشكلته بالعنف

فهذا لا يعني أنّ العنف يحلّ كلّ المشاكل

وإذا حلّ أحدهم مشكلته بالطّلاق

فهذا لا يعني أنّ الطّلاق يحلّ كلّ المشاكل

لا يوجد وصفة سحريّة لكلّ شيء

فقبل أن تتبع حلول الآخرين

تأكّد أنّ لديك نفس المشكلة!

.

.

الدّرس الثّالث:

قبل أن تتخذ قراراً لحلّ مشكلة

تأكّد أوّلاً أنّ هذا الحل لن يفتح مشكلة جديدة

الزّواج الثّاني قد يكون حلاً لمشكلة أولى

وقد يكون بداية لمشكلة ثانية

فالذي يخوض زواجه الثّاني بنفس العقلية الأولى
سيصل في الزّواج الثّاني حيث وصل في الزّواج الأوّل
والطلاق قد يكون حلاً لمشكلة واحدة
ولكنّه قد يكون باباً لمشاكل كثيرة
فلا تكن أنانيّاً في حلولك تجني على النّاس لترتاح
ثمّة شيء في حياة النّاس اسمه التّعايش
وأحياناً احتواء مشكلة وإبقائها على الشكل الذي هي عليه
قد يكون هو الحلّ المثاليّ لها
لأنّ الحلول الجذريّة في الغالب باهظة الثمن
فجرّب أن تتعايش

الدّرس الرّابع

لا تشكُ إلا لمن تتوسم أن تجد عنده حلاً
التّشكي يجعلنا علكاً!
والبيوت أسرار فلا تجعل بيتك مشاعاً
كلّ النّاس لديها مشاكل
كون البعض لا يتشكّون فهذا لا يعني أنّهم بخير
فلا تخدعنّك المظاهر
البعض يعضّون على جراحهم ليعيشوا!
ذهب مريضٌ إلى أحد الأطبّاء
وبعد فحوصاتٍ مخبريّة كثيرة

قال الطبيبُ لمريضه :
أنت لا تشكو من شيء
وعلى الأرجح أنّ مشكلتك نفسيّة
افعلْ أشياء جديدة . .
جرِّبْ أن تمرح . .
سمعتُ أنّ في المدينة مهرّجاً يقفز المشاهدون من مقاعدهم لكثرة ما يضحكهم
اقترحُ أن تذهب وتتفرج عليه قد يُزيل همّك
فنظر المريضُ إلى الطبيب بعينين دامعتين وقال له :
أنا ذلك المهرّج يا سيّدي!
كثيرون في هذه الحياة كالمهرّج
يرمون مشاكلهم وراء ظهورهم ويخرجون إلى الحياة كأنْ ليس فيهم شيء
لماذا على الآخرين أن يعيشوا معنا مشاكلنا
ليس بالضرورة أن نكون مهرّجين
ولكن من قال أنّه يجب أن نكون كئيبين ومملين؟!

هكذا يأخذُ الضّعيفُ حقّه من القويّ!

من لطيف ما قرأتُ ولا أعرفُ مدى صحّته
ولكن حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج!
أنّ موسى عليه السّلام خرج يوماً لمناجاة ربّه
ثم سأله :
كيف يأخذُ الضّعيفُ حقّه من القويّ
فقال له الله : اذهبْ في الغد إلى مكان كذا لترى!
فلمّا كان الغد ذهب موسى عليه السّلام إلى المكان المحدد
فرأى شلالاً يخرج من الجبل ثم يصيرُ نهراً جارياً
جلس منتظراً ليرى كيف يأخذُ الضّعيفُ حقّه من القويّ
فإذا بفارس يأتي راكباً على حصان له يريدُ الماء
نزل الفارسُ عن حصانه
وخلع حزامه الذي كان يعيقُ حركته
ووضعه عند ضفة النّهر حيث ربط حصانه
شرب الفارسُ واغتسل ثم انصرف ناسياً حزامه
جاء غلام صغير يركبُ حماراً إلى النّهر
فشرب واغتسل
وعندما أراد الانصراف وقعتْ عينُه على حزام الفارس
الذي كان قد نسيه عند ضفة النّهر
فتح الغلام الحزام فإذا هو ممتلىء بالذّهب

أخذه وانصرف . . .
وبعد ذهابه بقليل أقبل شيخ عجوز إلى النّهر
فشرب أيضاً واغتسل
وبينما هو كذلك إذ وقف الفارس فوق رأسه
وسأله عن الحزام
أنكر الشيخ معرفته بما يقول الفارس
فما كان منه إلا أن سلّ سيفه وقطع رأس الشيخ
وكان موسى عليه السّلام ينظر ويفكّر ويتأمل
ثم قال: يا رب إنّ الفارس قد ظلم هذا الشّيخ!
فقال له الله تعالى:
يا موسى، الشيخُ كان قد قتل والد الفارس منذ زمن
أمّا الغلام فكان أبوه يعمل عند والد الفارس منذ عشرين سنة
فغصبه حقّه!
وقد أخذ الفارسُ بحقّ أبيه من الشّيخ
وأخذ الغلام بحقّ أبيه من الفارس
هكذا يأخذُ الضّعيفُ حقّه من القويّ!

.

.

الدّرس الأوّل:
اليهود أكثر النّاس أنبياءً
وذلك لأنّهم أكثر النّاس شقاقاً ونفاقاً
أرسل اللهم لهم النّبيّ تلو النّبيّ

فكذّبوا فريقاً وقتلوا فريقاً!
وما نجا منهم إلا القليل
ومن الطّبيعيّ وحالهم هذه أن نكثر فيهم القصص والأخبار
وتتعدد فيهم الرّوايات
وما كان من باب العظة ولا يتعارض مع الإسلام
رويناه استئناساً دون صرف جهد في التّثبت
ما دام لا يترتب عليه عمل ولا يتعارض مع عقيدة
يدخلُ تحت قوله صلّى الله عليه وسلم:
«حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»

الدّرس الثّاني:
الجزاءُ من جنس العمل وكما تدينُ تُدان
وهذا من عدل الله في خلقه
من سرقَ سُرِق
ومن ظلم ظُلِم
ومن اعتدى على عرضٍ ردّ الله له اعتداءه في عرضه
لذلك نحنُ عندما نحمي الآخرين
فإننا في الحقيقة نحمي أنفسنا
فمن قدّم المعروف حصد الخير
ومن زرع الشّوك لم يحصد العنب!
تعرفون قصّة العقوق الشّهيرة

حيث جاء الولدُ بأبيه العاجز ليذبحه
بعد أن ضاقتْ زوجة الابن بوالد الزّوج ذرعاً
فقال له الأب: إن كنت ذابحي لا محالة
فاذبحني عند تلك الصّخرة
فاستغربَ الابنُ وقال: لمَ هناك؟!
فقال له أبوه: هناك ذبحتُ أبي!

الدّرس الثّاني:
هناك بنك الرّبا فيه حلال!
والتأمين على الحياة فيه حلال!
والتّأمين على الأولاد فيه حلال!
إنّه بنك التقوى
الحسنة بعشر من أمثالها
وعلى مدخل ذلك البنك مكتوب:
«وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذرّيّةً ضِعافاً خافوا عليهم فليتّقوا الله وليقولوا قولاً سديداً»
أليسَ هذا تأميناً على الأولاد؟!
لماذا أرسل الله الخضر موسى عليهما السّلام ليقيما جدار اليتيمين
الذي كان يريد أن ينقضّ
أليس لأنّ أباهما كان صالحاً
بصلاح الأب يحفظ الله الأولاد
وبسوئه قد يضعهم محطّ قصاص!

الدّرس الرّابع:

الأيّامُ جندٌ من جنود الله
يرفعُ بها أقواماً ويضع بها آخرين
ما إن يدور الزّمان دورته حتى تُقضى الحقوق
ونرى المظلوم قد انتصر
ونرى الظالم قد خُلع وانقهر
سنوات قليلة فصلت بين خروج محمّد صلى الله عليه وسلّم
وصاحبه أبو بكرٍ مهاجرين تحت جنح الظّلام
وبين عودته إلى مكة فاتحاً من أبوابها الأربعة!
الذين طردوه من مدينته وأهله وأولاده
فتح عليهم مدينتهم بأولادهم!
الذي كان يُعذّب بلالاً في رمضاء مكة
خرّ تحت قدميه صريعاً يوم بدر
واحدة بواحدة!
حيث نام بلال تحت أميّة مضرجاً بدمه
نام أميّة تحت بلال مضرجاً بدمه
إنّها الأيام، واحدة من أعتى جنود الله
وإنّه عدل الله سبحانه
ما سقى أحدٌ أحداً كأساً إلا شربها
والأيام دُوَلٌ والجروح قصاص!



.

.

البحرُ والنّاس!

ضاع حذاء طفل في البحر
فكتبَ على الشّاطىء :
هذا البحر لص!

وليس ببعيد منه صيّاد
اصطاد كميّة كبيرة من السّمك
فكتب على الشّاطىء :
هذا البحرُ سخي!

وفي ذات اليوم غرق شاب في البحر
فكتبت أمّه الثكلى على الشّاطىء :
هذا البحر قاتل!

ثمّ لمّا حانت ساعة المدّ
أرسل البحر موجة لتمحو كل الكلام المكتوب على الشّاطىء!

.

.

الدّرس الأوّل:

البعض لن يرضوا عنكَ مهما حاولتَ
لو أضأتَ أصابعك العشر شمعاً
لقالوا لك: لِمَ الضوء هكذا خفت؟!
ولو حفرتَ لهم نفقاً في الجبل بإبرة
لقالوا: لِمَ تأخرت؟!
ولو كنستَ طرقاتهم برموش عينيك
لقالوا: كان بإمكانك أن تصنع أفضل!
هؤلاء هم النّاس..
هكذا كانوا قبلكَ...
وهكذا سيبقون بعدك..
فلا تتعب نفسك إرضاء الجميع غاية لا تُدرك
ولم ينجح في هذا أحدٌ حتى الأنبياء
ولو نظرتَ حولكَ لوجدتَ أكثر النّاس غير راضين عن الله
فكيف يرضى النّاس عن النّاس؟!

.

.

الدّرس الثّاني

ليس بمقدورك أن تجعل الآخرين نسخةً منك مهما حاولت
فعوّد نفسك على الاختلاف
ولو تأملتَ في الحياة لوجدتَ جمالها في تنوّعها
ولولا الأضدادُ ما عُرفتْ قيمة الأشياء

الذي يجعل الحقّ جميلاً هو قبح الباطل
والذي يجعل العدل جميلاً هو قبح الظلم
والذي يجعل السّلام مطلباً هو لظى الحرب
هذه الدّنيا أفكار وآراء واتجاهات
فقُلْ فكرتك بهدوء . . .
وعبّر عن رأيك بتحضّر . .
وآمن بما تريد . . .
ولكن إيّاك أن تُضحّي بمخالفيك!
بعض الاختلاف ثراء!
وأحياناً نحن نحتاج للذين يختلفون عنّا
أكثر من حاجتنا للذين يشبهوننا!
قال الذّهبيّ في سير أعلام النّبلاء مترجماً للشّافعيّ:
«قال يونس الصّدفيّ:
ما رأيتُ أعقل من الشّافعيّ
ناظرته يوماً في مسألة فاختلفنا
فلقيني بعدها وسلّم عليّ وقال لي:
يا أبا موسى أما يستقيم أن نكون إخوة
ولو اختلفنا في مسألة!»
.
.

الدّرس الثّالث:
عند الخصام لا تُفكّر في أقوى ردّ
بل في أحسن ردّ!
فكسب النّاس أهمّ من كسب المواقف
شتم رجلٌ خالداً بن الوليد
فقال له خالد : هي صحيفتك فاملأها بما شئت!
ولنا في سيّد النّاس قدوة
رجموه في الطّائف حتى سال دمه الشّريف
ولمّا جلس يستظلّ
جاءه جبريل ومعه ملك الجبال
يستأذنه أن يُصق عليهم الأخشبين إن شاء
فترفّع عن دمه وعن جراحه وقال :
بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله!
وجاءه الطّفيلُ بن عمرو وقال له يا رسول الله :
إنّ دوساً قد هلكتْ ، عصتْ وأبتْ ، فادعُ عليهم!
فقال الرحمة المهداة : اللهم اهدِ دوساً واهدِ بهم!

.

.



الدّرس الرّابع:

كُن بحراً
وليكن لديكَ مدٌّ يمحو ما قالوه عنك!
من أراد أن يصل عليه أن يتجاهل
ولو توقّفت عند كلّ كلمة قيلت فيك
لن تمشي خطوة واحدة إلى الأمام
كلام النّاس كالحُفر في الطّريق
أكلما وجدتَ في الطريق حفرة نزلتَ فيها
أم تجاهلتها وأكملتَ طريقك؟!
إيّاك أن تشغلك الحفر عن مقصدك
فحتى عندما تخرج من الحفرة لن تخرج نظيفاً كما دخلت
البعض إذا رددنا على إساءاتهم لنا
فإننا نُسيء لأنفسنا بالدّرجة الأولى
فترفّع!

لا تنسَ البُسطاء!

في مصنع تجميد وتوزيع اللحوم كان يعمل هناك رجل اسمه «جوان»
وفي أحد الأيام وبعد أن انصرف الجميع
دخل جوان إلى غرفة التبريد ليتحقق من إن كانت تعمل بشكلٍ جيّد أم لا
فانغلق باب الغرفة عليه!
ورغم معرفته أن الجميع قد غادروا ولن يسمعه أحد إذ ما طلب النجدة
إلا أنه بدأ بالصراخ دون توقف
وبعد خمس ساعات فتح حارس المصنع باب غرفة التبريد لينقذه وهو في الرّمَق الأخير
سألوا حارس المصنع بعدها : كيف عرفتَ أن جوان في الداخل؟!
فقال : أنا أعمل هنا منذ خمسة وثلاثين عاماً
والموظفون بين داخل وخارج ولا أحد يأبه لي
وحده جوان إذا حضر في الصباح ابتسم في وجهي ابتسامته الحلوة
وقال لي : صباح الخير
وإذا حان وقت الانصراف كان جوان من دون الجميع يأتي إليَّ مبتسماً ويتمنى لي مساءً جميلاً
لقد افتقده في ذلك اليوم، وقلتُ في نفسي : لا بدّ أن مكروهاً حصل لجوان
لهذا بدأت أبحث عنه إلى أن وجدته في غرفة التبريد!

الدّرس الأوّل:

إذا صنعتَ معروفاً مع إنسان فلا تتذكره

وإذا صنع إنسان معك معروفاً إيّاك أن تنساه!

أحياناً لا ينتظر منك صاحب المعروف سداداً

ولكن من العيب أن تنسى

لهذا أكتب معروفك مع النّاس على الرمل لتمحيه ريح الأيام

واكتبْ معروف النّاس معك على الصخر لتقرأه دوماً!

.

.

الدّرس الثّاني:

لا أحقر من الذي يُبادر النّاس بالإساءة

إلا الذي يردُّ المعروف بالإساءة!

عقوقٌ أن تُبكي عيناً سهرتْ الليل تحرسك

وتضربَ يداً أفنتْ عمرها ترعاك

عقوقٌ أن تردم بئراً شربتَ منه

أو تقطع شجرةً أكلتَ منها

ولا ينطبق عليكَ مثل العرب القديم: سمّن كلبكَ يأكلكَ!

.

.

الدّرس الثّالث:

لا شيء اسمه «القانون لا يحمي المغفّلين»
هذا قانون يُناسب الغاب ولا يُناسب النّاس
هؤلاء البُسطاء ليسوا فريسة سهلة
ولا لقمةً سائغة . . .
ولا ربحاً ميسوراً . . .
تستغل بساطتهم وسذاجتهم لتأكل لحومهم أحياء!
أجمل من القانون التافه هذا هو قانون الإسلام :
«وهل تُرزقون إلا بضعفائكم»؟!
وفي الحديث : «لولا شيوخ ركّع ، وأطفال رُضّع ، وبهائم رُتّع ، لصُبّ عليكم العذاب صبّاً»
وإذا كان القانون لا يحمي المغفلين فمن يحمي؟!
وهل ينقص الأقوياء أسلحة ليكون معهم القانون أيضاً؟!
ألا تكفيهم عقولهم وأموالهم وأسلحتهم وجاههم وسلطانهم
حتّى نعطيهم القانون أيضاً يبهشون به هذا وذاك
القانون الذي يقف إلى جانب القويّ هو سلاحٌ للقويّ على الضّعيف
وليس أداة محاكمة
والقانون الذي لا يكون رحيماً ويميّز بين البسطاء والسّذج
وبين غيرهم من النّاس هو قانون ظالم
لأنّ المساواة في كلّ شيء وجه من وجوه الظّلم!

الدّرس الرّابع:

تواضع!

تحيّة على إنسان فقير لن تُفسد «بريستيجك»

وابتسامه في وجه إنسان بسيط لن تُنزلك من عليائك!

سُليمان عليه السّلام ابتسم لنملة!

ومحمد صلى الله عليه وسلم صعد إلى السماء السّابعة

وعاد إلى الأرض يخصف نعله ويخيط ثوبه ويحلب شاته

ويحمل حزمة حطب لأعرابيّة على رأسه

وتمسكه الأمة الصغيرة من يده ليشفع لها عند سيّدها فيذهب

ويداعب طفلاً «يا أبا عمير ما فعل النُّغير»

ويمازح عجوزاً «لا يدخل الجنّة عجائز» فتغتم، فيبتسم ويعزّيها بالشّباب!

وأبو بكر يسير في الشّارع فينشده أطفال المدينة من ثوبه قائلين .

يا أبتاه، يا أبتاه

وعمر يحمل طعاماً لأرملة وأولادها، وينفخ فيها نارها حتى يخرج دخانها من لحيته

ثم يطبخ لهم طعاماً

ويرفض أن يذهب حتى يرى ضحك الصغار كما رأى بكاءهم

الكبار يتواضعون، والصّغار يتعاظمون ويتكبّرون ويتجبّرون

فتواضع تكبر، وانزل ترتفع، ولِنْ تكثر فروعك!

الببغاء

يُحكى أن سيّدة ثرية كانت تشكو من الوحدة

فقررت أن تشتري ببغاء يستطيع الكلام حتى يؤنس عليها وحدتها

فذهبت إلى بائع الطيور، واشترت ببغاءً جميلاً

وأكد لها البائع بأنه يتكلم

فوضعته في منزلها في قفص كبير اشترته من نفس البائع

وبعد أيام عادت السيدة إلى متجر وهي مستاءة جداً

سألها البائع : كيف حال الببغاء

فقالت : إنه لا يتكلم

فسألها البائع . هل اشتريت له سُلماً؟

فقالت له : لا

فقال لها إن الببغاوات يحبون السلالم ويعشقون الصعودعليها

ثم أخرج لها سلماً مميزاً وطلب منها وضعه في القفص

إلا أن السيدة لاحظت أنه مر يومان والببغاء لم يتكلم أيضاً

فقررت العودة إلى المتجر مرة أخرى وهي غاضبة

وبمجرد دخولها نظرت إلى البائع وقالت بغضب : لم يتكلم حتى الآن!

فسألها البائع مندهشاً : هل اشتريتِ له مرآة؟

فقالت له : لا

فقال لها : إن الببغاوات يحبون المرايا

فذهبت السيدة واشترت مرآة ووضعتها له في القفص
إلا أن الببغاء لم يتكلم هذه المرة أيضاً
فقررت العودة للمتجر مرة أخرى وهي أشد غضباً مما سبق
ولما دخلت المتجر سألها البائع عن سبب غضبها
فأجابت بأن الببغاء لم يتكلم حتى بعد أن أحضرت له المرآة
فقال لها البائع ناصحاً : هل اشتريتِ له أرجوحة ؟
فقالت له : لا
فقال لها : إن الببغاوات يحبون الاستمتاع باللعب بالأرجوحة لأنها تدخل على نفوسهم البهجة
ثم أخرج لها أرجوحة مخصصة للببغاوات
فاشترتها منه وهي مسرورة ، وذهبت للمنزل ووضعتها في قفص الببغاء
إلا أن ثلاثة أيام أخرى مرت دون أن يتكلم
عندها ازداد غضب السيدة أكثر واتجهت لمتجر بيع الطيور
وهذه المرة بمجرد دخولها أدرك البائع أن سبب غضبها أن الببغاء لم يتكلم بعد
فقال لها بسرعة : هل ملأتِ له القفص بالورود؟
فأجابت السيدة بالنفي
فقال لها : إن هذا الببغاء يحب أن يعيش في بيئة مليئة بالورد
ذهبت السيدة واشترت بعض الورود ووضعتها داخل القفص
إلا إنها عادت للمتجر بعد أسبوع آخر حزينة جداً
ولما سألها البائع عن سبب حزنها

قالت له : لقد مات الببغاء!
فقال لها البائع مندهشاً : هل قال شيئاً قبل أن يموت؟
فقالت له : نعم ، لقد كانت المرة الوحيدة التي يتكلم فيها
قال البائع : وماذا قال؟
ردت السيدة قائلة : كانت أول وآخر جملة ينطق بها
أليس في هذا المنزل طعام وشراب؟

.

.

الدرس الأول:

في الحياة أساسيات لا يمكن الاستغناء عنها
ولا مجال لاستبدالها حتى بأكثر الأشياء رفاهية
فالطعام للجائع أكثر أهمية وضرورة من الفراش الوثير
وكوب الماء للظمآن أكثر قيمة من القصر الشاهق
والدواء للمريض يعادل ملء الأرض ذهباً
والدنيا بكل متاعها لا تعني من استبد به التعب كما تعنيه وسادة يضع عليها رأسه
فعندما تتعامل مع غيرك حاول ألا تقيس حاجاته بمقاييسك
لأن ما قد يكون من الكماليات بالنسبة لك لعدم حاجتك له
قد يكون بفعل الحاجة من الضروريات لغيرك!

.

.

الدرس الثاني:

الأرواح تجوع أيضاً

وتعبر عن جوعها بشعور الوحدة

وحين يستبد بها ذلك الجوع فإن كلّ رفقة -مهما كانت- ستبدو شهية ،

فأشهى الطعام هو ما تأكله على جوع ولو كان كسرة خبز جافة ،

وكلما قلّت الخيارات المتاحة أصبح من الصعب التمييز بين الرفيق المناسب وغير المناسب

فقبل أن تملأ الفراغ من حولك حاول أن تملأ الفراغ في عقلك وقلبك ،

كي لا يدفعك الصمت المحيط بك إلى رؤية الأمور على غير حقيقتها ،

أو القبول بما يجعلك تتمنى لاحقاً لو أنك بقيت وحيداً!

.

الدرس الثالث:

التاجر المحتال يلزمه زبون أحمق

فغرض التاجر الربح

وهو يحقق هذا الغرض في الغالب بالترويج لسلعته بغض النظر عن جودتها

وكلما وجد في المشتري مساحة لتصديق دعاياته

كلما تمادى في إفراغ جيوبه ،

ومليء أكياسه
التاجر يستخدم عقله ليبيع سلعته
فلا تقايض تلك السلعة بعقلك

.

.

الدرس الرابع:
الوحدة عدوٌّ قاتل!
والأماكن الفارغة تبعث الوحشة
وتتسلل لتسكن أعماق ساكنيها
فتوحي لهم أنها توشك أن تبتلعهم
والناس في ملئ فراغات الأماكن من حولهم لهم طرقهم المتباينة
فتجد من يبحث في الكتب عن رفاق
وتجد من يبحث عن الرفقة في نفسه
وتجد من يبحث عنها في البشر
وهناك من يبحث عن الرفقة حتى في ببغاء!
وأصعب أنواع الوحدة هي تلك التي نشعر بها ونحن بين الآخرين
كُن مؤنساً لمن حولك
ولا تحضر بجسدك وتغيب في قلبك

كلمات

«من ينشط منكم لجمع الصّحيح»
قالها اسحاق بن راهويه في أحدث مجالس الحديث
يقول البخاريّ فوقع ذلك في قلبي!

دلّ على الخير ولو لم تفعله
وهذا دين «الدّال على الخير كفاعله»
قد يكون لديك الرؤية وليس لديك الإمكانات
ضع رؤيتك عند من لديه الإمكانات وليس لديه الرؤية
من ينشط لجمع الصّحيح أصابت قلباً
فكان صحيح البخاريّ
ودعوة «اللهم أعزّ الإسلام بأحبّ العمرين إليك»
أصابت قلب عمر فكان الفاروق
«وليبلّغ الحاضر منكم الغائب فربّ مبلّغ أوعى من سامع»
جلبت طاقات غائبة ليست لدى الحاضرين
وهناك متّسع للجميع كلّ في مجاله
الدّين الذي قال فيه صاحبه صلى الله عليه وسلم
«والله لأشغلنّ وساوسهم بخالد بن الوليد»
لم يستغنِ عن شعر حسّان بن ثابت رضي الله عنه
فقال له صاحبه : «اهجهم وروح القدس معك»

الرَّأي يُوجِّه السّيف
والسّيف يحمي الرَّأي
والشّعر يُنافح عن دعوة
والدّعوة تُهذّب الشّعر

.

كان الشّافعيّ في بداية حياته مهتمّاً بالشّعر
فتمثّل بيتاً ذات مرّة
فقال له كاتب مصعب الزّبيريّ:
أين أنتَ من الفقه؟!
فوقع ذلك في قلب الشّافعيّ وصار ما صار

الكلمة الطّيّبة صدقة
والنّاس لكلمة طيّبة أحوج منهم إلى رغيف
لأنّ الرّغيف يسدُّ جوع معدة
والكلمة تسدُّ جوع عقل وقلب!
ناظر ابن عباس رضي الله عنه الخوارج
فرجع منهم ثلاثة آلاف!
فلا تستهن بالكلمات
الكلمات تُغيّر مسار جيوش
وتضع أقداماً على الطّريق الصّحيح

ومعجزة النبيّ صلى الله عليه وسلم لم تكن عصا موسى عليه السّلام إذ تصير حيّة
ولم تكن يده إذ يضمّها إلى جناحه فتخرج بيضاء للناظرين!
وإنما كانت كلمات!
كلمات فتحت قلوبا
وهذّبتْ سيوفاً
وحوّلتْ أمّة متصارعة على الكلأ والماء إلى قيادة البشريّة!

.

.

«إنّ خطّك يُشبه خطّ المُحدّثين»
قالها الإمام البرزاليّ للذهبيّ
يقول الذّهبيّ: فحبب الله إليّ الحديث!

قد تنسى كلمة قلتها ولكنّ غيرك لا ينساها
الكلمة الطّيبة كالماء إذا وقعتْ في أرض طيّبة أنبتت!
كتب كثيرة أُلّفتْ لأن أحداً قال من يُؤلّفها!
وشجر كثير زُرع لأنّ أحداً قال من يزرعه!
وآبار كثيرة حُفرتْ لأنّ أحداً قال من يحفرها!
وطرقٌ كثيرة شُقّت لأنّ أحداً قال من يشقّها!
وهذا القرآن كان نُتفاً هنا وهناك
بعضه على الجريد وبعضه على سعف النخل وبعضه على حجارة
وكلّه في صدور الرّجال!

فما زال عمر رضي الله عنه بأبي بكر رضي الله عنه حتى جمعه جمعته الأولى

ولما جاء حذيفة بن اليمان رضي الله عنه من أذربيجان

إلى عثمان رضي الله عنه قائلاً :

أدرك المسلمين لا يختلفون في القرآن اختلاف اليهود والنّصارى في التوراة والإنجيل

حتّى هبّ يجمعه

فصار المصحف الذي بين أيدينا الآن!

هناك من يرى الخير وهناك من يفعله

فإذا رأيته وعجزت عنه فدلّ عليه

كان أحمد بن حنبل كثيراً ما يقول :

اللهم ارحم أبا الهيثم ، اللهم اغفر لأبي الهيثم!

فسأله ابنه عبد الله : من أبو الهيثم يا أبتِ؟!

فقال له : رجلٌ لا أعرفه!

ولكنّهم يوم وضعوني في الزنزانة ليلة الجلد كانت مظلمة لا أرى فيها إصبعي

وكزني رجل وقال : أأنت أحمد بن حنبل؟!

قلت : نعم

قال : أتعرفني؟

قلتُ : لا

فقال : أنا أبو الهيثم اللصّ ، شارب الخمر ، وقاطع الطّريق

مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني جُلدتُ ثمانية عشر ألف جلدة متفرّقة

وقد احتملتُ هذا في سبيل الشّيطان
فاصبر أنتَ في سبيل الله يا أحمد!
فلما عُرِضتُ على السّوط في اليوم التالي جعلتُ أتذكّر كلامه
فأصبر!



النّصفُ الممتلىء من الكوب!

جلس صحفيٌ على كرسيِّ مكتبه وأمسك قلمه وكتب
في السَّنة الماضية أجريتُ عمليَّة لإزالة المرارة
ولازمتُ الفراش عدّة شهور
وبلغتُ السّتين من العمر
وتركتُ وظيفتي التي عملتُ فيها ثلاثين عاماً
وتُوفي والدي
ورسب ابني في كلّية الطّب لتوقّفه عن الدّراسة
بسبب إصابته في حادث سيّارة
وفي نهاية الصّفحة كتب :
يا لها من سنة سيّئة!
ثمّ دخلت زوجته غرفة مكتبه
ولاحظتْ شروده فاقتربت منه بهدوء
ومن فوق كتفه قرأت ما كتب
فتركت الغرفة بهدوء دون أن تقول شيئاً
ولكنّها بعد عدّة دقائق عادت وورقة في يدها
وضعتها قرب الورقة التي كتبها زوجها
فتناول الزّوج الورقة وقرأ فيها :
في السّنة الماضية شُفيتَ من آلام المرارة التي عذّبتك سنوات
وبلغتَ السّتين في تمام الصّحة والعافية

وستتفرّغ للتأليف وكتابة مذكّراتك
وعاش والدك حتى بلغ الخامسة والثمانين
من غير أن يُسبب متاعب لأي أحد
وتوفي بهدوء دون أن يتألّم!
ونجا ابنك من الموت بأعجوبة
وخرج سليماً ولم يُصب بأي عاهات
وختمت الزّوجة كلامها بالعبارة التالية
يا لها من سنة أكرمنا الله بها!

.

.

الدّرس الأوّل:

نحن دوماً ننظر إلى ما أُخذ منا
ولا ننظر إلى ما أُعطينا
الذي يتذمّر من حذائه المهترىء
أيعرف أن الكثيرين قد فقدوا أقدامهم؟!
والذي يتذمّر من راتبٍ لا يكفي
أيعرف أنّ الكثيرين يموتون كلّ يوم جوعى؟!
والذي يتذمّر من نظره الضّعيف
أيعرف أنّ الكثيرين في هذا العالم عميان؟!
وأنّه حين يتّكىء على نظارته يتّكئون على عكاكيزهم!
الذي يتذمّر لموت ابن له
أيعرف أن آباءً دفنوا أولادهم جميعاً مرة واحدة؟!

والتي تتذمّر من فقد ابن
أتعرف أنّ نسوة كثيرات حُرمن الأمومة؟!
والذي يتذمّر من صعوبة عمله
أيعرف أنّ ملايين النّاس عاطلون عن العمل
مشكلتنا أننا نريد كلّ شيء
نسخط إذا لم نُعطَ
وكلما أُعطينا أردنا المزيد

الدّرس الثّاني:

نفس الحدث تختلف فيه النّظرات
هناك من ينظر إلى نصف الكوب الفارغ
وهناك من ينظر إلى نصف الكوب الممتلىء
النظرة إلى نصف الكوب الفارغ تُفسد الاستمتاع بنصفه الممتلىء!
والنّظرة إلى نصف الكوب الممتلىء تنسينا مشقة نصفه الفارغ!
هناك من يقول تباً للحياة لقد فقدتُ حبيباً
وهناك من يقول الحمد لله بقي لي الكثير من الأحبّة
هناك من يقول زوجتي عصبيّة لا تُطاق
وهناك من يقول الحمد لله زوجتي خلوقة رغم عصبيّتها!
هناك من يقول تباً لبيتي الصغير
وهناك من يقول الحمد لله عندي بيت يأويني
وهناك من تقول زوجي عنيد

وهناك من تقول الحمد لله روحي رغم عناده يُحبّني
هناك من تقول أبي يُضيّق عليّ حريّتي
وهناك من تقول الحمد لله أبي يخاف عليّ
هناك وجه آخر للصورة دوماً
فالحوادث كالقمر لها جانب مضيء وجانب مظلم
المتشائمون يرون جانبها المظلم فقط!

.

.

الدّرس الثّالث:

عندما تنتهي مرحلة تبدأ أخرى
وعندما ينتهي حدث يبدأ آخر
هذه الحياة بدايات متكررة!
المصيبة فرصة لنتذكر ما بقي لنا
والفشل فرصة لتدارك أخطائنا
والمشاكل فرصة لإصلاح حياتنا
والخصومات فرصة لمراجعة تصرّفاتنا
هذا الكوكب لا يكفّ عن الدوران رغم كلّ شيء
يهزّه زلزال ويحرقه بركان ويدميه مرض
ولكنّه يدور
على الحياة أن تستمر
فالمدينة التي ضربها زلزال تتعافى
والمنطقة التي أحرقها بركان تشفى

والوباء يجدون له علاجاً
والحرب يصنعون لها حداً
لماذا على الحياة أن تتوقف عند كل مصيبة؟!

الدّرس الرّابع:
من الأخشاب الميتة تُصنع السُفن
ومن الحديد الذي تلفظه البراكين تُصنع الطائرات
ومن سُمّ الأفاعي تُركّب العقاقير
ومن الأعشاب الضّارة تُستخرج الأدوية
ومن الرّياح العاتية تُدار الطواحين
ومن الأمواج الهادرة تُولّد الكهرباء
ومن البذور الميتة تخرج الأشجار
ومن السنابل اليابسة تهيج الحقول
من فقد وظيفة نعرف قيمة العمل
ومن فراق صديق نتمسك بالباقين
ومن موت ابن نلتفتُ للآخرين
المصائب تُؤدّبنا أحياناً
فالحزن كالمدرسة مكان ممل وثقيل
ولكنّه المكان الأنسب للتعلم
والفرح كالمقاهي حلو وخفيف
ولكننا لا نتعلّم فيه شيئاً!

عن الحُبّ

سُئل أحد الحكماء يوماً :
ما الفرق بين من يتلفظ بالحُب ومن يعيشه؟
قال الحكيم سترون الآن ، ودعاهم إلى وليمة
وبدأ بالذين لم تتجاوز كلمة المحبة شفاههم ولم ينزلوا بعد إلى قلوبهم
وجلس إلى المائدة ، وهم جلسوا بعده
ثم أحضر الحساء وسكبه لهم
وأحضر لكل واحد منهم ملعقة بطول متر!
واشترط عليهم أن يحتسوه بهذه الملعقة العجيبة!
حاولوا جاهدين لكنهم لم يفلحوا
فكل واحد منهم لم يقدر أن يوصل الحساء إلى فمه دون أن يسكبه على الأرض!
وقاموا جائعين في ذلك اليوم
قال الحكيم : حسناً ، والآن انظروا!
ودعا الذين يحملون الحُب داخل قلوبهم إلى نفس المائدة
وقدم إليهم نفس الملاعق الطويلة
فأخذ كلّ واحد منهم ملعقته وملأها بالحساء ثم مدّها إلى جاره الذي بجانبه
وبذلك شبعوا جميعهم
وقف الحكيم وقال في الجمع حكمته والتي عايشوها عن قرب :

من يفكر على مائدة الحياة أن يُشبع نفسه فقط سيبقى جائعاً
ومن يفكر أن يشبع أخاه سيشبع الإثنان معاً!

.

.

الدرس الأول:

الحب لا يقاس بالكلمات
فهو شعور يبدأ من العمق ،
ثم يتحول إلى دافع للعطاء ، للحماية ، للقرب ، للاهتمام .
يتجلى في الأفعال قبل الكلمات
فالمحب الصادق يتكلم بحب ، لا يتكلم عن الحب ،
يُشكل كلماته نتيجة مشاعره ، لا يشكل مشاعره بكلماته ،
الكلام رفاهية المشاعر ،
من الجميل أن تخبر أحبّتك أنك تحبهم دائماً ،
من الجميل أن تنعش ذاكرة الشعور بالحديث عنه ،
بل إن الكلمات الدافئة هي رائحة الشعور وصوته
فالبوح بها لمن نحب أشبه بتحرير رشة من زجاجة عطر ،
إذ لا يمكن معرفة جمال العطر دون انتشاره ،
ولكن حين يأتي وقت الأفعال ،
على الكلام أن يتنحى جانباً ، دون أن تتنحى أنت معه .
إنك لا تستطيع إنقاذ الغريق بقصيدة مهما بلغ جمالها ،
فكل ما يحتاجه منك لحظتذاك ،
أن تغلق فمك و تمد يديك لتنتشله

الدرس الثاني:

أحبك : ليست مجرد أربع حروف تحملها الألسن عن سطح القلب ،
بل مشاعر عدة تجتمع في القلب حتى تملأه عن آخره
أحبك . يعني أن أكون أجنحتك حين تضيق الأرض بك
أكون كمعيك حين تثقل الهموم كاهلك
أكون وطنك الذي لا ينكرك إن فقدت هويتك
أكون ظلك حين تغمرك شمس الحزن
أن أحبك يعني أن صوت قلبك يصلني دون أن تنطق
أن يدي دائماً ستحاول أن تمسك بك قبل أن تقع ،
وأنها إن فشلت ووقعت ، ستكون أول ما يمد لك لتقف
أن أحبك يعني أن سعادتك هدف ، وضحكتك مكافأة
أن أحبك يعني أن أشاركك فرحك كما أشاركك حزنك ،
فالفرح يكبر حين نتشاركه ، كما يصغر الحزن حين نتقاسمه .
أن أحبك يعني أن كل الأشياء تصبح قابلة للقسمة على اثنين
لأننا لم نعد اثنين ، بل واحد يسمى : نحن .

.

.

الدرس الثالث:

كل عاشق مُحب ، ولكن ليس كل مُحب عاشقاً
العشق جزء أو نوع من الحب ولكن ليس كل الحب
فالعشق لا يحتمل أكثر من شخصين
بينما يسع الحب العالم بأسره



الأمومة حب ، والأبوّة حب
الأخوّة حب ، والصداقة حب
تستطيع أن ترى لوحة الحب في شخص يسقي شجرة
أو يرأف بطفل لا يعرفه
أو يساعد عجوزاً لتعبر الطريق
أو يهبّ لنجدة إنسان لا تربطه صلة به سوى الإنسانية
مفهوم الحب أوسع من أن يحدده شعور واحد ،
وفي كثير من الأحيان : الحب خُلُق .

الدرس الرابع:
«يحبهم ويحبونه»
هكذا وصف الله عباده المؤمنين ،
فالمُحب يعطي دون حد ،
والمُحب يطيع دون سؤال ،
وهذا أعلى مراتب الحب وأسماها ،
«فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر فيه ، ويده التي يبطش بهـا ، ورجله التي يمشي بهـا ، ولئن سـألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه»
هذا حب الله الذي لا يوازيه حب آخر ،
فحبه مقرونٌ دوماً بالعطاء المطلق ،
وكلما أدرك الإنسان الله بروحه وقلبه
كلما أحاطه بحبه ، وأظهر له لطفه .

متجر الزّوجات!

في إحدى المدن تمّ افتتاح متجر لبيع الزّوجات!
حيث يمكن للرّجل الذّهاب واختيار له
ووُضع على المدخل قانون عمل المتجر
وكان القانون يسمح بالدّخول مرّة واحدة فقط
ويمكن الاختيار من أحد الطوابق الأوّل فالأوّل
وإذا لم تُعجب المواصفات الرّجل في الطابق الأوّل
فيمكنه الذّهاب إلى الطّابق الثّاني
ولكن يُمنع عليه أن يرجع مرّة أخرى إلى الطّابق السابق
دخل أحد الرّجال إلى المتجر لاختيار زوجة
قرأ عند مدخل الطّابق الأول صفات الزّوجات المتاحة :
النّساء هنا لديهنّ عمل ، ومؤمنات بالله
فقرر أن يصعد إلى الطابق الثّاني علّه يجد مواصفات أفضل!
عند مدخل الطّابق الثّاني قرأ صفات الزّوجات المتوفّرات :
النّساء هنا لديهنّ عمل ، ومؤمنات بالله ، ويحببن أزواجهنّ
فقرر الصّعود إلى الطابق الثالث لأنّه لاحظ أنّه كلما صعد كانت المواصفات أفضل!
وعند مدخل الطّابق الثّالث قرأ عبارة :
النّساء هنا لديهنّ عمل ، ومؤمنات بالله ، ويحببن أزواجهنّ ، وجميلات

فقرر صاحبنا أن يصعد إلى الطّابق الرّابع!
وعند مدخله قرأ :
النّساء هنا لديهنّ عمل ، ومؤمنات بالله ، ويحببن أزواجهنّ ، وجميلات ، ويحببن أهل الزّوج!
فقرر مرّةً أخرى الصّعود إلى الطّابق الخامس
وعند مدخله قرأ :
النّساء هنا لديهنّ عمل ، ومؤمنات بالله ، ويحببن أزواجهنّ ، وجميلات ، ويحببن أهل الزّوج ، ويساهمن في مصروف البيت!
فقال : يا إلهي هذه زوجة جيّدة ولكنّي سأستمرّ في الصّعود!
وعند مدخل الطّابق السّابع قرأ :
النّساء هنا لديهنّ عمل ، ومؤمنات بالله ، ويحببن أزواجهنّ ، وجميلات ، ويحببن أهل الزّوج ، ويساهمن في مصروف البيت ، ورومنسيّات!
فقرر أن يصعد إلى الطّابق السّادس
وهناك قرأ العبارة التالية :
عزيزي : أنت الزّائر رقم ٧٦٤٥٣٢١٩! ولا يوجد نساء هنا
هذا الطابق برهان أن الرّجال لا يمكن إرضاؤهم!
شكراً للتّسوق في متجر الزّوجات
وانتبه لخطواتك وأنت تغادر ، ونتمنى لك يوماً سعيداً



.

.

الدّرس الأوّل:

المرأة أوفى من الرّجل في الحُبّ!
وهذا عائد إلى أصل الخلقة
وكلّ ما خُلق من شيء بقي أثره في طبعه!
فقد خلق الله تعالى الملائكة من نور
ولأنّ النّور خير مطلق
فإنّ الملائكة مخلوقات خيّرة
وقد خلقها الله منه لأنه أرادها لمهمّة كلّها خير
والجنّ مخلوقة من نار
وغالب النّار الشرّ إلا قليلاً!
بقدر ما تعطي من الدفء، وتُنضج الطعام، وتُلين المعادن
لهذا أغلب الجنّ كفرة إلا قليلاً
وهذا القليل بمقدار منافع النّار
وعندما خلق الله آدم عليه السّلام من تراب
وصار بعد ذلك لحماً ودماً
بقيتْ أصل الخلقة بارزة في طبعه
وأصل التّراب الانتاج والعطاء
لهذا يجد الرّجال أنفسهم بما يُنتجون ويُقدّمون
بينما خلق حوّاء من ضلع قرب القلب في آدم
لهذا غلب عليها العاطفة!
وآدم عليه السّلام بالنسبة للتراب هو جزء
بينما حوّاء بالنسبة للتراب هي جزء الجزء

لهذا علاقتها بالانتاج أقلّ من علاقته
وحين يجد الرّجل نفسه بما يُنتج ويمنح من الماديّات
تجد المرأة نفسها بما تُقدّم وتمنح من العواطف!
فالمرأة تحقق ذاتها حين تكون أمّاً حنوناً وزوجة رؤوماً
بينما لا يكفي الرّجل أن يكون أباً فقط!
وعندما أباح الله للرّجل أن يُعدد في الزّوجات
فإنّه بالضّرورة وضع فيه ما يؤهله لهذا
وإلا لكان في هذا ظلماً للرجل والمرأة
وتعالى الله عن هذا
وعندما حرّم على المرأة التعدد
فإنّه فطرها على الاكتفاء بالواحد
فالمرأة إذا أحبّت زوجها اكتفت به
وإذا كرهته سعت إلى الطلاق لتتزوج غيره
ولا تفكّر باثنين معاً
وحتى عندما تخون
فهذا لعجزها عن التّخلص من الأوّل
بينما قد يتزوّج الرّجل امرأة ثانية وهو يُحبّ الأولى
فالمرأة بالنّسبة للرجل جزء منه
أمّا الرّجل بالنّسبة للمرأة فهو كلّها!
ومن الطّبيعيّ أن تكون علاقة الكلّ بالجزء
أقلّ حميمية من علاقة الجزء بالكلّ
لهذا المرأة أوفى من الرّجل في الحُبّ

الدّرس الثّاني:

الرّجل أكثر من شخصيّة والمرأة كذلك!

إننا مركّبون بشكل عجيب لنمارس أدوارنا المختلفة في الحياة

فالذكر: أب وزوج وأخ وابن وصهر..

والأنثى: أم وزوجة وأخت وابنة وحماة وكنّة..

ونحن لا نلزم حالاً واحداً في كلّ شخصيّاتنا

أرقى دور يلعبه الرّجل هو دور الأب

وأرقى دور تلعبه الأنثى هو دور الأم

هاتان شخصيّتان يغلب عليهما الخير

عاطفة بلا جزاء ولا مقابل

ومن الممكن أن نجد الأب الحنون زوجاً قاسياً

ونجد الأم الحنون حماة ظالمة

ومن الممكن أن نكون خيّرين في كل أدوارنا

ولكن هذه الخيريّة تختلف نسبتها بحسب الدّور الذي نؤدّيه

فالأب لا يحب أحداً بمقدار حبّه لابنته

وإن أحبّ زوجته وأمه وأباه وأخاه وأخته

والأمّ لن تحبّ أحداً كابنها

وإن أحبّت زوجها وأباها وأمّها وأخاها وأختها

لهذا لا تستغربوا من التّناقض في التّعامل

توقّع أن اكون أمّك الحنون حماة قاسية

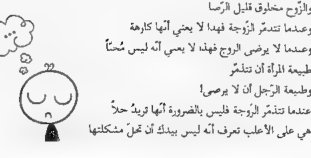
وابنتك الطّيبة كنّة شريرة

وليس بالضرورة أن تكون الزّوجة السّيئة أمّاً سيّئة

الحياة أشبه بمسرحيّة يُمثّل فيها أحدنا أكثر من دور!
قد يكون ملاكاً في أحد أدواره!
وقد يكون شيطاناً في إحدى شخصيّاته
هذه الحقيقة المُرّة تُسهّل علينا فهم الحياة
فلا تعب عليكم!

الدّرس الثّالث:

على كلّ طرف أن يفهم طبع الطّرف الآخر
لا يمكنك أن تتعامل مع شيء لا تفهمه
الشّركات تضع في الأجهزة الكهربائيّة دليل استعمال
دليل الاستعمال هذا هو الذي يجعل الأداة الكهربائيّة طيّعة بين يديك
الطّباع هي دليل الاستعمال!
الزّوجة مخلوقة كثيرة التّذمّر
والزّوج مخلوق قليل الرّضا
وعندما تتذمّر الزّوجة فهذا لا يعني أنّها كارهة
وعندما لا يرضى الزوج فهذا لا يعني أنّه ليس مُحبّاً
طبيعة المرأة أن تتذمّر
وطبيعة الرّجل أن لا يرضى!
عندما تتذمّر الزّوجة فليس بالضرورة أنّها تريدُ حلاً
هي على الأغلب تعرف أنّه ليس بيدك أن تحلّ مشكلتها



ولكنّها تريد منك أن تستمع لا أكثر
فكن مستمعاً جيّداً!
وعندما لا يرضى الزّوج فليس بالضرورة أنّه يريد تغييرك
الرّجل يطلب المزيد دوماً
فعدم الرّضا عند الرّجل هو الذي غيّر العالم للأفضل
لو رضوا بالأحصنة ما اخترعوا السّيارات
ولو رضوا بالسّيارات ما اخترعوا الطائرات
ولو رضوا أن يموت أحبتهم بين أيديهم لجرح عابر ما اخترعوا الأدوية
الرّضا أحياناً مقتلة
والشّعور بالنّقص هو حافزنا نحو الأفضل
أحدنا يتذمّر من زوجته
وقد يشعر أنّها ليست ضرورية له
وأنّه يمكنه أن يتدبّر أمره دونها
ولكن عندما تمرض ينفطر قلبه
وعندما تغيب عنه يشتاق لما كان يزعجه منها
هذه دلائل الاستعمال فاحفظوها!

الدّرس الرّابع:
لا تدخل بين زوجين إلا لتصلح
بين أمّك وأبيك أصلح
بين أختك وزوجها أصلح

وبين ابنتك وزوجها أصلح
وبين ابنتكِ وصهركِ أصلحي
المرأة تغضب من زوجها ولا تفرّط به
والزوّج يغضب من زوجته ولا يفرّط بها
فلا تكن طرفاً في صراع بين زوجين
تصل الأمور كثيراً إلى طريق مسدود
ثمّ ما يلبثا أن يعودا سمناً على عسل
فتخسر أنتَ الطّرف الذي تحزّبت ضده!
ومن طريف ما تروي الجدّات في هذا السّياق
أنّ امرأة خاصمت زوجها
وجاءت بيت أبيها لا تريد إلا الطّلاق
فأرسل أبوها في طلب زوجها
وعندما وقف بين يديه نادى على ابنته وأختها السّتة
فلما حضرت شهر سيفه وأمرها أن تتعرى وإلا سيقطع رأسها
فامتثلت خوفاً من السيف
ثم قال لزوجها وأختها افتحوا عباءاتكم
وقال لابنته استتري بأحدنا
فركضت واستترت بعباءة زوجها
فقال لها أبوها : لقد اخترته من بيننا
لا ترجعي إلى بيتي إلا زائرة!

.

.

الدّرس الخامس:

المرأة كائن مغاير للرّجل ليس بشكله الجسمانيّ فقط
وإنّما بتركيبها النّفسيّ أيضاً
والرّجل ليس مغايراً للمرأة بشكله الجسمانيّ فقط
وإنّما في تركيبه النفسيّ أيضاً
خلقهما الله ليكمل أحدهما الآخر
لو تشابها لتنافرا كقطبيّ مغنطيس
ولكنهما انجذبا لأنّ في أحدهما ما ينقص الآخر
وعندما نقول إن المرأة تغلب عاطفتها على قلبها
فهذه ليست مذمّة
وعندما نقول إنّ الرّجل يغلب عقله على قلبه
فهذه ليست مذمّة أيضاً
وإنّما خلق الله سبحانه كل منهما هكذا لأجل دوره في الحياة
فالمرأة تكمل نفسها بعقل الرجل فتشتدّ
والرجل يكمل نفسه بقلب المرأة فيلين
وعندما منع الإسلام المرأة من الإمامة الكبرى
فلأنّها عاطفيّة والحكم يحتاج أن لا يتأثر بالعواطف
ولأنّ لها دوراً آخر في الحياة
لا يقل عظمةً عن هذا
ولأنّ في الحياة أشياء لا تستقيم إلا بعاطفتها وقلبها
وعندما أتاح الله هذا للرّجال
فلأنّهم يفصلون في الغالب عقولهم عن قلوبهم

وفي الحياة موقف لا تنفع فيها العواطف!
ليست منقصة ان نقول أنّ المرأة عاطفيّة
وليس مديحاً أن نقول أنّ الرجل عقلانيّ
هذا ما فُطر عليه كليهما وليس لهما في هذا اختيار
هذا العالم يحتاج قلب المرأة
كحاجته لعقل الرّجل بل أشدّ
وعندما نقول أنّ المرأة قلب
فلا نعني أنه لا عقل لها
وعندما نقول أنّ الرّجل عقل
فلا نعني أنه لا قلب له
وإنّما نتحدّث عن السمة الغالب على هذا المخلوق!

الدّرس السّادس:
النّساء يتشابهن والرّجال كذلك!
مهما تغيّرت وظيفة المرأة تبقى امرأة كباقي النّساء
ومهما تغيّرت وظيفة الرّجل يبقى رجلاً كباقي الرّجال
هذه الحياة وإن نجحت في تغيير أدوارنا
ولكنها تعجز من أن تُغيّر طبائعنا
رئيسة الوزراء في عاطفتها واحتياجاتها
هي ربّة المنزل في عاطفتها واحتياجاتها
ومدير الشّركة في عاطفته واحتياجاته

لا يحتاج كثيرٌ عن عامل التنظيف الذي يعمل عنده
لا تخلطوا بين وظيفة المرء وبين طبيعته
المرأة تحبّ أن تشعر بالدّلال
والرّجل يحبّ أن يشعر بالاحترام
بغض النّظر عن الوظيفة التي أسندتها لهما الحياة
كلّ امرأة تحبّ أن تجد صدراً حنوناً
كلّ امرأة تسعد بكلمة حلوة
وتطير بغزل تسمعه
وتفرح بهدية تتلقاها
وكل رجل يحبّ أن تحترمه امرأته
ويفرح أن تُسمع كلمته
ويسعد أن يكون أهم شخص في حياة امرأته
فإذا كانتْ زوجتك غنيّة
فليست في غنى عن هداياك
وإن كان زوجكِ محطّ تقدير عند الجَميع
فليس في غنى عن تقديركِ
وإن كان زوجكِ مطاعاً من الجميع
فليس بغنى عن طاعتك له

العادات

يُحكى أنّ امرأة زارت صديقة لها
تجيدُ طبخ السّمك بمهارة
وكان الغرضُ من هذه الزّيارة
أن تتعلم منها مهارتها هذه
وأثناء ذلك لاحظت الضّيفة
أنّ صديقتها تقطع رأس السّمكة وذيلها قبل وضعها في الزّيت
فسألتها عن السّرّ في هذا
فقالت لها : لا أعلم ولكني تعلمتُ هذا من والدتي
واتصلت بأمها لتسألها عن السبب
فقالت لها أمّها تعلّمتُ هذا من أمّي
واتصلت الأمّ بأمّها لتسألها عن السبب
فقالت لها : كانت مقلاتنا صغيرة ولا تتسع للسمكة كلّها!

الدّرس من هذا أن البشر يتوارثون العادات دون أن يُفكّروا بها
لهذا فإنّ العادات يحكمها التقليد
أكثر مما يحكمها العقل والمنطق
ولأننا نفتح أعيننا على هذه العادات
تصبح مع الزّمن في نظرنا من المسلّمات
بينما نجد غرائبيّة في عادات الشّعوب الأخرى

لأننا تعوّدنا عليها فجأة
ولو عشنا حياة الذين عاشوها ما اختلفت نظرتنا عن نظرتهم
ولأخذنا عاداتهم الغريبة بتسليم
كما نأخذ عاداتنا التي نراها مألوفة!
وعندما نرى لآخرين غريبين في تصرّفاتهم
فإنّهم بالمقابل يروننا كذلك
أكثر تبرير سيق في القرآن لعبادة الأصنام
أنّهم وجدوا آباءهم على هذا

.

في قبيلة «تودا» جنوب الهند
على العروس أن تزحف على يديها وركبتيها حتى تصل إلى العريس
بينما يقوم هو بوضع رجله على رأسها
وهذه العادة دلالة أنّها مستعدّة لتسمع كلمته
وأنّه على استعداد أن يحكم بيته
هذا الأمر الذي نراه نحن غريباً ومهيناً
تفعله الفتيات بكل تسليم ورضى
فقط لأنه عادة!

.

.

وفي جزيرة «مومباسا» في إفريقيا
يجب أن يتقدّم لخطبة امرأة رجلان
وعليهما أن يتصارعا ومن يغلب تكن المرأة زوجته
هذا السّلوك في حقيقته
لا يختلف كثيراً عن سلوك الحيوانات في موسم التّزاوج
إذ يتصارع ذكران للظّفر بأنثى
ولكن بشر تلك الجزيرة يمارسونه طقساً اجتماعياً مقبولاً
فقط لأنّها العادات!

.

.

وفي قبيلة «جوبيس» الإفريقيّة
يثقبون لسان المرأة عندما تتزوج
ويربطونه بخيط يتدلى منه خاتم
ليقوم زوجها بشدّها منه إذا انزعج من كلامها وأراد أن يُسكتها
فتمتثل المرأة لثقب لسانها دون تفكير
ويشدّ الرجل الخيط دون تأمّل
فقط لأنّها العادات!

.

.

باختصار ليس بالضرورة أن تكون العادات منطقيّة
ولكنّها تُفعل فقط لأنها عادات
لهذا علينا أن نحترم عادات الآخرين

أو على الأقل أن نتفهمها
فلا يوجد مجتمع مهما ارتقى ليس فيه عادات غريبة
حدث أنّ رجلاً هندياً دُفن بجانب رجلٍ فرنسيّ
وكان الهنديّ بوذيّاً
وكان الفرنسيّ نصرانياً
وكان لكلّ واحد منهما قريب يزوره يوم الأحد
وهو اليوم الذي تفتح فيه المقبرة أبوابها للزائرين
وكان الهنديّ في كل زيارة يضع صحن أرزّ عند قبر قريبه
بينما كان الفرنسيّ يضع باقة ورد
وبعد مضيّ زمن نشأت بينهما صداقة
فقال الفرنسيّ للهنديّ مزحاً :
متى سيقوم قريبك ليأكل صحن الأرزّ؟!
فقال له الهنديّ :
عندما يقوم قريبك ليشمّ باقة الورد!
هذه القصّة تُلخّص موقفنا من العادات
عاداتنا المألوفة قد تكون عند الآخرين محطّ استغراب
كما أنّ عادات الآخرين هي محط استغراب عندنا
وصحن الأرزّ هو باقة الورد بالنسبة للميت
كلاهما لا ينفعه
ولكنّها العادات
ولو عاش الهنديّ حياة الفرنسيّ
لأحضر باقة ورد!



-

ولو عاش الفرنسيّ حياة الهنديّ
لأحضر صحن أرزّ
العادات يحكمها التّقليد لا المنطق
فلا تسخر من عادات قوم لم تعش ظروفهم

المصاعب

وقف رجل يشهد فراشة تحاول الخروج من شرنقتها
وكانت تُصارع للخروج ثمّ توقّفت فجأة
وكأنّها تعبت ولم يعد بإمكانها المحاولة أكثر
فأشفق عليها وقصّ غشاء الشّرنقة قليلاً
من أجل أن يساعدها على الخروج
وفعلاً خرجت الفراشة
ولكنها وُلدت ضعيفة ولم تستطع الطيران
فقد أخرجها قبل اكتمال نمّو أجنحتها

.

.



الدّرس الأول:
خوض الصّراعات هو الذي يجعلنا أقوى
لو تأملنا حياتنا لوجدنا أننا أفضل
بسبب أسوأ ما حدث لنا!
التّجارب القاسية هي التي تصقلنا
لولا النار ما صُقلت السّيوف لتصير قاطعة
ولولا المناشير ما صار الخشب طاولات
ولولا وخز الإبر ما صار القماش ثوباً
ولولا المحاريث ما زُرعت الحقول

نحن مدينون للمصاعب!
كل ضربة لم تقتلنا هي التي جعلتنا أقوى
وكل جرح لم يودِ بنا جعلنا أشدّ
التّعثر يُوتّينا للقادم
أطفال الأدغال في إفريقيا ليس لديهم مستشفيات
وقليلاً ما يمرضون
لقد اعتادت أجسادهم أن ترعى نفسها
تكيّفت مع الصّعاب فصارت أقوى
أطفال المدن يمرضون إذا أصابهم مطر
ويتسممون إذا أكلوا فاكهة ولم يغسلوها
من فرط الحماية صاروا أضعف!
اللقاح الذي نتلقاه هو عبارة عن جرعة مخففة من المرض!
نُعرّض الجسم لجيش صغير كي نمرّنه
حتى إذا هاجمه الجيش الجرار كان مستعداً
أو على الأقل كان عنده فكرة عمّن يحارب
فتكون الخسائر أقل والأضرار أخف!
فخذ الدّرس من كلّ تجربة فاشلة
واستفد من كلّ تعثّر
الفشل هو الذي يجعلنا أكثر حذراً وأقوى شكيمة

الدّرس الثّاني:

لا تتدخل في صراع لا تفهمه
الذي شقّ الشّرنقة قتل الفراشة
كان على الفراشة أن تقاتل بنفسها لتنجو
المساعدة هي التي أردتها
فلا تخض صراع أحد نيابة عنه
قد يكون بحاجة أن يخوض صراعه بنفسه
ساعد من طلب منك المساعدة
وبادر من نفسك إن كنت تفهم الصّراع
ولكن إياك أن تخوض صراعاً ليس لك
خصوصاً إن لم تكن قد فهمته
ولا تتسرع في تقدير الموقف
إذا جاءك من يشكو فقأ عينه
فلا تتسرع وتناصره
من الممكن أنّ هذا الأعور
قد جعل الآخر أعمى فقأ كلتا عينيه
في الطبيعة صراعات علينا أن لا نتدخّل بها كي تستمرّ الحياة
لو حمينا الغزلان من الأسود
لماتت الأسود وكثرت الغزلان بشكلٍ لا يُطاق
نحن لا نتدخّل لأننا نفهم هذا الصّراع
نعرف أنّ على الغزلان أن تركض محاولة النجاة
وأنّ على الأسود أن تعدو خلفها محاولة اصطيادها

هذا الصّراع بديهيّ لأننا نهمه
ومن الطبيعيّ أنّ هناك صراعات أخرى لا نفهمها
لهذا يجب أن لا نتدخّل فيها
الذي يركض ليس بالضّرورة مظلوماً
والذي يركض خلفه ليس بالضرورة ظالماً
المثل الشّهير الذي يقول :
«اللي يعرف يعرف واللي ما يعرف يقول كفّ عدس»
مناسبته أنّ رجلاً جاء إلى بيته
فوجد رجلاً في الفراش مع زوجته
فاستلّ سكيناً يريد قتله
فهرب العشيق وأثناء هروبه أخذ حفنة عدس
كان أهل البيت قد نشروه في ساحة الدّار
وعندما وصلا حيث النّاس
رأى النّاس العدس في يد الهارب
فقالوا للزّوج : أتريد أن تقتل رجلاً لأجل حفنة عدس؟!
فقال قولته المشهورة التي غدت مثلاً!

الضفدع والعقرب

يحكى أن عقربا خرج من كهفه متجهاً إلى نهر صغير
وأراد أن يعبر النهر إلى الجهة الأخرى
فقد كانت تبدو أكثر جمالاً
ولكنه كان يعرف جيداً أنه لا يجيد السباحة
فجلس فوق حجر صغير يبحث عن وسيلة لعبور النهر
عندها رأى ضفدعاً يقفز بالقرب من النهر
فاقترب منه قائلاً : صباح الخير أيها الضفدع
فأجابه الضفدع بحذر صباح الخير ، ماذا تفعل هنا أيها العقرب؟
فقال العقرب : أريد أن أعبر إلى الجهة الأخرى من النهر ولكنني لا أعرف السباحة .
الضفدع : إذن ماذا ستفعل؟
العقرب : لماذا لا تدعني أركب على ظهرك وتسبح أنت في النهر وتعبر بي إلى الجهة الأخرى؟
الضفدع : ولماذا أفعل هذا؟ وماذا سأستفيد؟
العقرب : تكون قد فعلت معروفا في عقرب مسكين وربما تحتاج إليّ يوما ما وأستطيع أن أرد لك الجميل .
الضفدع ولكن أخشى أن تلدغني وأنت فوق ظهري .
العقرب: لن أفعل هذا ، لأني لو لدغتك ونحن في وسط النهر فسوف تموت وتغرق وأغرق معك
لذلك فليس هناك مصلحة لي في أن ألدغك .

اقتنع الضفدع بعد أن فكر قليلاً فيما قاله العقرب
وبالفعل ركب العقرب فوق ظهر الضفدع ، وبدأ يعبر به
وفجأة وفي منتصف النهر أحس الضفدع بلدغة العقرب
وبدأ الشلل يسري في جسده من أثر اللدغة
وقبل أن يفارق الحياه . .
نظر الضفدع بطرف عينه للعقرب متسائلا والدهشة وعدم التصديق
تكاد أن تشل لسانه : لماذا فعلت هذا؟
قال العقرب : إنها طبيعتي لم أستطع أن أغيرها

.

الدرس الأول:
لكل كائن طبيعته الخاصة التي جُبل عليها
فلا يستطيع أن يغيرها وإن ظن ذلك
ولكن الطبائع يمكن ترويضها وتوجيهها
فتكون لك لا عليك
فطبيعة اللدغ عند العقرب
كان يمكن أن تجعله قوياً حين يواجه بها أعداءه
ويحمي بها أصدقاءه
ولكنها كانت أشد ضرراً له قبل غيره
حين استخدمها في غير موضعها
فكل تصرف جيد يعود نفعه على صاحبه في المقام الأول
وكل تصرف سيء كذلك .



الدرس الثاني:

إذا أردت أن تسلك طريقاً فتخير من يكون لك عوناً

لا من يكون عليك عبئاً

تخير من يتجاوز معك عثراتك

لا من يكون أكثر عثرة فيه

فرفيق الدرب الجيد يجعل منه وإن طال أجمل من الوصول

ويجعل منه وإن صعب ألذ من اليسير

أما السيء فإن كل خطوة معه تعادل ألف ميل من التعب

ذلك أن المشي حافياً أخف عليك ، وأقل ضرراً من انتعال حذاء تملأه الحجارة .

وتذكر أن طريق الحياة أصعب الطرق وأشدها خطراً .

.

.

الدرس الثالث:

الثقة سلاح خطر ، لا تضعه بيد من لا تعرفه .

ولا يمكن منحها دفعة واحدة

فهي لا تتكون إلا على مراحل

ولا تنمو إلا بالمواقف والتجربة .

الثقة المفرطة درجة لا يمكن بلوغها إلا في حالات نادرة جداً

لأشخاص خضت معهم ما يكفي من الأزمات

لتكشف لك عن خباياهم .

ابقِ على مسافة آمنة بينك وبين الآخرين

لترى الصورة التي هم عليها كاملة
قبل أن تحدد موقعهم من حياتك
فالقرب الزائد، كالبعد الزائد، تغيب فيه الكثير من التفاصيل المهمه
لا تثق حد السذاجة،
وأيضاً لا تحذر حد الوهم.
.
.

الدرس الرابع:
تعلّم كيف تُنزل الناس منازلهم
وكيف تقيّمهم من خلال أعمالهم وصفاتهم
لا من خلال نواياك.
الطيبة صفة حميدة
ولكن الطيبة المفضية إلى الحمق صفة ذميمة
فتعلم كيف تجعل قلبك نقياً دون أن توقف عقلك عن العمل
وتذكر أن بعض الدروس ثمنها باهظ جداً
إلى الدرجة التي لا تجعلك قادراً على الاستفادة منه
لأنك قد تكون دفعت حياتك على إثرها.
فحين تمنح من لا تعرفه خنجراً ثم تدير له ظهرك
ستكون قد طعنت نفسك بيد غيرك.
.
.

ناطحة سحاب!

كان أحد مدير الإنشاءات
يتجوّل في موقع بناء ناطحة سحاب ضخمة
وشاهد ثلاثة عمّال يكسرون حجارة صلبة
فسأل الأوّل : ماذا تفعل؟
فقال : أكسر الحجارة كما طلب منّي رئيسي
ثمّ سأل الثّاني : ماذا تفعل؟
فقال : أقصُّ الحجارة بأشكال جميلة!
وسأل الثّالث : ماذا تفعل؟!
فقال : ألا ترى ، أنا أبني ناطحة سحاب!



.

.

نظرتنا لأنفسنا هي التي تحدد طريقنا في الحياة!
نحن نصنع من أنفسنا عبيداً
ونحن نصنع من أنفسنا أحراراً
نحن نضع الأغلال في أيدينا
ونحن نكسرها!
لا أحد يركب ظهرك ما لم تكن منحنياً
في موقف واحد يمتاز النّاس
تكشفهم طرق تفكيرهم

في حادثة منع الزكاة يوم ارتدّ العرب
قرر الشفيق أبو بكر رضي الله عنه أن يقاتل
ورأى الحازم عمر رضي الله عنه أن يتمهّل
فقد كانوا قوماً يقفون عند الدّماء!
ويوجدون ألف سبب كي لا يريقوها!
فأخذ أبو بكر بثياب عمر وقال له :
أجبّار في الجاهليّة خوّار في الإسلام يا ابن الخطّاب؟!
أينقصُ الدّين وأنا حيّ!
هذه أعظم جملة قيلت في علوّ الهمّة
أبو بكر لا يرى نفسه منتسباً للإسلام فحسب
وإنّما يرى نفسه مسؤولاً عنه!
لا يكفيه أن يُقدّم النّاسُ له الطّاعة
وقد عبثوا بالإسلام كيف شاؤوا!
عليه أن يُسلم راية الإسلام كاملاً للذي بعده
كما استلمها كاملة من صاحبها الذي قبله

نظرتنا لأنفسنا تحدد طريقتنا في الحياة
فرق بين أن نرى أنفسنا قليلاً في كثير
فنمشي مع التّيار
وبين أن نرى أنفسنا كثيراً ولو كنّا قلّة
فنصنعُ نحن هذا التّيار

إذا لم يرضك واقع غيّره
وإذا لم يعجبك مشهد بدّله
لا تقف عاجزاً وتقول : أنا واحد من النّاس
لو قام كلّ امرىء بما عليه لصلح النّاس
ولكننا نتأسى بفساد غيرنا
ونقول قولة العاجزين : نحن مع الجماعة!
عندما مرضت زوجة الملك عرضها على أطبّاء المدينة
وخلصوا بعد معاينتها أنّ علاجها
أن تستحمّ كلّ يوم بالحليب
فأمر رعاة المملكة أنّ يسكب كلّ واحد منهم سطل حليب ليلاً
في بركة القصر لتستحمّ الملكة صباحاً
قال كلّ راع في نفسه : أنا واحدٌ من الجميع
ولو وضعتُ سطل ماء سيضيع بين الحليب
ولن يكتشف الملك فعلتي
وفي الصّباح جاءت الملكة لتستحمّ في البركة
فوجدتها مملوءةً ماءً
والسبب أنّ كلّ واحد لم يبدأ بنفسه

.

.

نظرتنا لأنفسنا هي التي تحدد طريقنا في الحياة
كان ابن أم مكتوم أعمى
وهو الذي عاتب الله فيه نبيّه صلى الله عليه وسلّم

فجرح في إحدى الغزوات
فقيل له: ماذا ستقدّم للمسلمين وأنت أعمى؟!
قال: أكثّر سواد المسلمين
أي أجعلهم كثيرين في عيون أعدائهم!
أبعدَ هذه الهمّة همّة
وبعد هذا الإحساس بالمسؤولية إحساس
سقط عنه الجهاد بالنّص
ولكنّه لم يُسقطه عنه في علوّ الهمّة
هناك أشخاص ينتسبون للإسلام
وهناك أشخاص يرون أنّ الإسلام شأنهم الخاص
مسؤوليتهم ووظيفتهم التي يعملون بها ليل نهار
.
نظرتنا لأنفسنا هي التي تحدد طريقنا
قال عمر بن عبد العزيز لأعوانه:
انثروا القمح فوق رؤوس الجبال كي لا يُقال جاع طير في بلاد المسلمين!
هؤلاء هم الذين صنعوا مجد الإسلام
هؤلاء هم الذين صنعوا التّيار
بدل أن يستسلموا للتيار السّائد
وشقوا طريقاً آخر
بدلاً من الطّريق المعهد الذي يمشي فيه النّاس
نظرتهم المختلفة لأنفسهم غيّرت العالم

الرّجال الثلاثة الذين كانوا يقطعون الحجارة
كانوا يقومون بنفس العمل البسيط
ولكن نظرتهم لأنفسهم جعلت كل واحدٍ منهم
يعيش هذا العمل البسيط على طريقته
الأوّل رأى نفسه مجرّد عامل
مثل هذا لو تقلّد منصباً رفيعاً
سيجعل من هذا المنصب الرّفيع منصباً صغيراً
هناك قاعدة في الإدارة تقول:
إذا أردتَ أن تهدم منصباً عظيماً
ضع فيه وضيعاً!
وإذا أردتَ أن تُعلي من شأن منصب صغير
ضع فيه عظيماً!
العامل الثّاني قال: أقصُّ الحجارة بشكلٍ جميل
هذا إنسانٌ مُتقن
لا يهتم بإتمام العمل فحسب
بل ينجزه على أفضل صورة ممكنة
هناك فرق بين أن ننظر إلى وظائفنا على أنّها وسيلة عيش
وبين أن ننظر إليها على أنّها رسالة
تخيّل مدرّساً تسأله ماذا تفعل في المدرسة
فيقول لك: أُربيّ أبا بكر وعمر!
تخيّل طبيباً يجري عملية جراحية تسأله ماذا تفعل
فيجيبك: أُنقذ أسرة من الضّياع!

تخيّل مزارعاً تسأله ماذا تفعل
فيجيبك : أحمي أمة من الجوع!

.

أمّا العامل الثّالث فأجاب : أبني ناطحة سحاب
هذا الرّجل لم يسمح لوظيفته الصغيرة أن تحجّمه
اعتبر نفسه جزءاً مهما في نتيجة عظيمة لن تتم بدونه
لهذا عندما تُربّي ابناً صالحاً
قل : أنا أُربّي زوجاً
وعندما تُربّي بنتاً صالحة
قل : أنا أُعِدُّ أُمّاً!

.

.

الهديّة

اصطحب رجلٌ زوجته إلى محلّ لبيع الهدايا
وقال لها : أريدُ أن تختاري هديّةً لأمي
شعرت الزّوجة بالغيرة في داخلها
واختارت أقلّ هديّة قيمةً وشكلاً
وقام هو بدفع ثمنها وتغليفها
وفي المساء أتى إلى زوجته وقدّم لها الهديّة التي اشترتها
وقال : أحببتُ أن تشتري هديّتك بنفسك!

.

هناك عبادات قلبيّة لا شأن للجوارح فيها
ولكنّها تهدم عمل الجوارح الشّاق
أو تشدّ من أزرها البسيط
سلامة الصّدر عبادة قلبيّة
إذا تحققتْ رفعت صاحبها أعلى الدّرجات
وإذا لم تتحقق أنزلت صاحبها أسفل سافلين
كان النبيّ صلّى الله عليه وسلم جالساً مع أصحابه
فقال لهم : يدخل عليكم رجلٌ من أهل الجنّة
فإذا برجلٍ من عوام المسلمين!
وفي اليوم الثّاني قال النبي صلى الله عليه وسلم



يدخل عليكم رجلٌ من أهل الجنّة
وإذا بنفس الرّجل يدخل
وهذا ما حصل في اليوم الثّالث أيضاً
فاندهش الصّحابة وأرادوا أن يعرفوا سرّه
فأخبره عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
أنّه تشاجر مع أبيه ويريد أن يمكث عنده
فقبل الرّجل على الفور
ومكث عبد الله عنده ينظر في حاله
فما وجده متميّزاً عن الصّحابة في عبادة
فلا يمضي نهاره صائماً
ولا يمضي ليله قائماً
صيامه صيام النّاس العاديين وقيامه قيامهم
وبعد مضيّ ثلاث ليالٍ أخبره عبد الله بالأمر
وقال له: ما الذي تفعلُ غير ما رأيتُ منك
فقال: لا أفعل غير ما رأيتَ!
ولكنّي إذا أويتُ إلى فراشي
لا أحمل في قلبي على مسلم
فأعفوا عمن ظلمني وأتمنى الخير للنّاس
فقال له عبد الله: هذه التي بلغتْ بكَ ما بلغتَ!
بالمقابل قال صلّى الله عليه وسلّم
«الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب»
والحسد هو أوّل ذنب عُصي الله به في السّماء

فقد حسد إبليسُ آدمَ عليه السّلام
ونار الحسد التي أكلت قلبه
هي التي دفعته ليعصي أمر الله بالسّجود لآدم
فطُرد من رحمة الله إلى الأبد
والحسدُ هو أوّل ذنبٍ عُصي الله به في الأرض
فعندما كبر قابيل وهابيل ابني آدم عليه السّلام
وصارا في سنٍّ مناسبة للزّواج
أخبرهما آدم عليه السّلام بشرع الله
وأنّ على كلٍّ منهما أن يتزوّج أخت الآخر
فقد كانتْ حوّاء تضع في كل مرّة توأمين
ذكراً وأنثى في كلّ بطن
وكان يجب أن يتزوّج هابيل أخت قابيل
وأن يتزوّج قابيل أخت هابيل
ولكن لأنّ أخت قابيل كانت أجمل من أخت هابيل
ملأ الحسد قلبه ورفض أن ينصاع لأمر الله
وأصرّ أن يتزوّج من أخته التي ولدت معه في نفس البطن
فحكم الله بينهما عن طريق القرابين
ولمّا قضى لهابيل قام قابيل بقتله
فكانت أوّل جريمة قتل عرفتها البشريّة



الحسد أمر مقيت
ولا يمكن تبريره على أي هيئة كان
ولكن يمكن تفهّمه في بعض الأحيان
البعض يحسدون الآخرين لأنّهم أخذوا شيئاً
كان بإمكانهم أن يأخذوه
كما في حالة قابيل
وكما لو تقدّم اثنان لذات الوظيفة
ولكن البعض يحسدون الآخرين
في أمر ليسوا له أهلاً
ولو لم يأخذه هؤلاء المحسودين فيه
ما كان للحاسدين أن يأخذوه
ولكنّها كراهية الخير للنّاس!
ماذا كانت ستخسر الزّوجة لو كانت هديّة حماتها جميلة
لو كانت هديّةً لضرّة لكان التّصرف مفهوماً
ولكن أن تحسد وتحقد لأمر ليس فيه منافسة
هذا الشيء الذي لا يمكن تفهّمه
وبالتّالي لا يمكن تبريره
سلامة الصّدر يُحبّها الله ويثيب عليها
كما يثيب على العبادات الشّاقة
ويوم حضّ النبيّ صلى الله عليه وسلم على الصّدقة
جاء الصّحابة كلّ منهم بما يستطيع

فقال علبة بن زيد رضي الله عنه
وكان فقيراً معدما
اللهم ليس عندي إلا وسادة حشوها ليف
ودلو أستقي به!
اللهم إنّي أتصدّق بعرضي على من ناله من خلقك
فأمر النبيّ صلى الله عليه وسلم منادياً يُنادي :
أين المتصدّق بعرضه؟!
فأقبل عُلبة بن زيد رضي الله عنه
فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلم :
إن الله قبل صدقتك!

أحدِثْ فارقاً !

كان أحد المسنّين يسير على شاطىء البحر
فشاهد صبيّاً يمسكُ نجمة بحر
كان الموج العاتي قد قدفها إلى الشّاطىء
ثمّ أعادها إلى البحر ثانيةً
وفي اليوم التالي وفي ذات المكان
شاهد الرّجل المُسنّ ذات الصبيّ
يمسكُ نجمة بحر أخرى كان الموج العاتي
قد قذفها إلى الشّاطىء أيضاً
ثمّ أعادها إلى البحر ثانيةً
أثار هذا التّصرف فضول الرّجل المُسنّ
فاقترب من الصبيّ وقال له بصوتٍ هادىء :
بُنيّ لمَ تُعِدُ نجمات البحر إلى الماء
رغم أنّك تعرف أنّ الموج يقذف المئات منها كلّ يوم؟!
فأجابه الصبيّ ببراءة :
لعلّ هذا يُحدثُ فارقاً
فازدادت حيرة الرّجل المُسنّ وقال له :
يا بُنيّ في كل دقيقة يقذف الموج الكثير منها
ما الفارق الذي سيحصل بإعادة إحداها إلى الماء؟!
عندها التقط الصبيّ نجمة بحر أخرى

وألقاها في البحر إلى أبعد مسافة يستطيعها
وقال له بصوت يملأه الإصرار
على الأقل سيصبح هذا فرقاً لتلك النجمة !

.

.

الدّرس الأوّل

لا تستهنْ بالأطفال !
بعضهم أذكى مما تظن
وبعضهم أرقى مما تتخيّل
كان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يسير في الطّريق
وكان مُهاباً كما لا يخفى على أحدٍ
جمع العدل والحزم
رجلٌ يهابه الشّيطان
فإذا سلك الفاروق فجّاً سلك الشيطان غيره
كان فيه من العدل أن يأمنه الجميع
ومن الحزم أن يحذره الجميع !
وعندما رآه الصّبية في الطّريق هربوا
غير أنّ عبد الله بن الزّبير رضي الله عنهما بقي واقفاً مكانه
فسأله عمر : لِمَ لمْ تهرب كأصحابك؟!
فقال له عبد الله : ما جنيتُ شيئاً لأخافك
ولم تكن الطّريق ضيّقة لأفسح لكَ !
يمكنُ لصغيرٍ أن يذهلك بفهمه

ويمكنه أن يُمسكك بإجابته
فإذا رأيتَ فهماً عززه
وإن نطق بحقّ فانزلْ عنده
الحقُّ أكبر منك ولو قاله الصّغار
والباطل وضيع ولو قاله الكبار
لا تأخذك العزّة بالإثم أن تنزل على حقّ قاله صغير
ولا يغرك فارق السّن
أطفال اليوم كبار الغد
وهم يُسجّلون كلّ شيء بدقّة فائقة
عندما تقمعه تقتل فيه بذرة الشّجاعة
وعندما تهينه تفقده ثقته بنفسه
واحترامه لكَ!
لهذا لا تُربِّ أولادك على الخوف
ربّهم على الاحترام
إذا ربّيتهم على الخوف أطاعوك في حضورك
وإذا ربّيتهم على الاحترام أطاعوك في غيبتك

.

.

لا تستهن بالصّغار أبداً
ذهبَ المعتصمُ الخليفة العبّاسيّ
لزيارة وزيره «خاقان» يعوده من مرضٍ نزل به
وكان «الفتح بن خاقان»

أشهر وزراء الدّولة العبّاسيّة فيما بعد
صغيراً يومذاك لم يتجاوز السّابعة
فأراد المعتصم أن يمازحه
فقال له: أيهما أجمل دار أبيك أم دار الخليفة؟!
فقال الفتح: دار أبي لأنّ الخليفة فيها!
ذُهل المعتصم لجواب الصبيّ
وأراد أن يكافئه
فرفع يده وقال له: أرأيتَ أجمل من هذا الخاتم؟!
وفي نيّته أن يعطيه إيّاه
فقال الفتح: أجمل منه اليد التي هو فيها!
الفتح بن خاقان نتاج تربية
صحيح أنّ الأطفال كالكبار يتفاوتون في كلّ شيء
ولكنّهم بالمجمل نتيجة ما نُربّيهم عليه
لن نقطف منهم إلا ما زرعناه بهم
الذي يزرع شعيراً لن يحصد قمحاً
والذي يزرع صبّاراً لن يجتني عنباً
صحيح أنّ المحاصيل تفسد
ولكن هذا يحدث في حالات نادرة
الحقول في الغالب تطرحُ ما يُزرع فيها!

الدّرس الثّاني.

لا تلتفت للمتربّصين !

كلّ طائرة طارتْ

كان أحدهم قد قال: هذه الطّائرة لن تطير !

كلّ سفينة طفَتْ

كان أحدهم قد قال: هذه السّفينة لن تطفو !

كلّ بناية ارتفعتْ

كان أحدهم قد قال: هذه البناية لن ترتفع !

كلّ حقلٍ هاج بالثّمار

كان أحدهم قد قال: هذه الأرض بور !

كلّ مرضٍ وُجد له دواء

كان أحدهم قد قال: لا دواء لهذا المرض !

كلّ مشكلةٍ حُلّت

كان أحدهم قد قال: هذه المشكلة أعقد من أن يُحلّ !

كلّ خلافٍ سُوِّيَ

كان أحدهم قد قال: هذا الخلاف لن يُسوّى !

كلّ زواجٍ نجح

كان أحدهم قد قال: هذا الزّواج سيفشل !

كلّ حربٍ انتهتْ

كان أحدهم قد قال: هذه الحربُ لن تنتهي !

البعضُ لا يريدون لأحدٍ أن ينجح

يجدون لذّةً في فشل الآخرين

لأنّهم فاشلون ومهزومون أمام أنفسهم
يريدون أن يفشل الجميع ليتأسّوا !
الزّوج النّاجح صفعة للزّوج الفاشل !
والموظّف الأمين صفعة للموظّف المرتشي
والحاكم العادل صفعة للحاكم الظالم !
لهذا كان عبد الملك بن مروان يقول :
سيرة عمر بن الخطّاب مرارة للحكام ومفسدة للرّعية !
دع أعمالك تكن خير ردّ
الأعمال أبلغ من الأقوال دوماً
أندونيسيا لم تفتحها جيوش المسلمين بالسّيوف
وإنما فتحها التّجار المسلمون بالأخلاق
عندما رآهم الآخرون أمناء
قالوا : يا له من دين !
موقف عدلٍ واحد
أبلغ من ألف خطبةٍ عن العدل
وموقف أمانة واحد
أبلغ من ألف خطبة عن الأمانة
يمكنك أن تُحدّث أولادك عن النّظافة كلّ يوم
ولكنّهم لن يُصدّقوك حتى يشاهدوك تضع القمامة
في سلّة المهملات
ويمكنك أن تُحدّث موظّفيك عن أهميّة الحضور باكراً
ولكنّهم لن يصدّقوك حتى تحضر كلّ يوم قبلهم

كان جيش المسلمين يهزم الإمبراطوريّات
لأنّ خالد بن الوليد رضي الله عنه كان دوماً في الصّف الأول
عندما رأى الجنود قائدهم أقرب شخص إلى العدوّ
لحقوا به!
وجوده في الصّف الأوّل كان خطبة بليغة في الشّجاعة
خطبة من منبر حصانه وسيفه لا بلسانه
وكان ولاة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه
لا يتجرأ أحدهم أن يظلم أحداً
لأنّ عمر لم يكن يظلم أحداً
وعندما وضعوا كنوز كسرى بين يديه
قال: إن قوماً أدّوا هذا لقوم أمناء
فقال له عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:
يا أمير المؤمنين عففتَ فعفّوا ولو رتعتَ لرتعوا!
إذا أمرتَ بأمرٍ فكن أوّل من يلتزم به
وإذا نهيتَ عن أمرٍ فكن أوّل من ينتهي عنه

.

.

الدّرس الثّالث:

لا تحقرنّ صغيراً فإنّ الجبال من الحصى!
والنار العظيمة من مستصغر الشرر!
أحياناً لا يمكنك أن تحلّ مشكلة جماعة
ولكن يمكنك أن تحلّ مشكلة فرد منهم

فلا تتردد . . .
لا يمكنك أن تحلّ مشكلة البطالة
ولكن يمكنك أن تساعد عاطلاً عن العمل ليحصل على وظيفة !
ولا يمكنك أن تحلّ المشاكل الزّوجية
ولكن يمكنك أن تُصلح بين زوجين !
لا يمكنك أن تقضي على الجوع
ولكن يمكنك أن تطعم جائعاً !
لا يمكنك أن حلّ مشكلة الفقر
ولكن يمكنك أن تساعد فقيراً !
لا يمكنك أن تصلح البيوت المتهالكة
ولكن يمكنك أن ترمّم منزلاً واحداً
فرُبّ درهم في الصّدقة
سبق في الأجر ألف درهم
ذاك أن الذي تصدّق بدرهم لا يملك غيره
والذي تصدّق بألف يملك الملايين
كلاهما مُثاب ومأجور
ولكن العطاء أحياناً ليس بكميته بل بقيمته !
فلا تقل ماذا سيفعل درهم
ولا تقل ماذا ستفعل لقمة
ولا تقل ماذا ستفعل كلمة في خلاف محموم
قد يكون الذين سعوا في الصّلح قبلك
هيّؤوا الأجواء لتأتي كلمتك وتعيد الأمور إلى نصابها
وقد قالوا : لا تستقلّ القليل لأن الحرمان أقلّ منه !

الدّرس الرّابع:

أعد النّاس إلى أماكنهم إن استطعتَ

الظّروف أحياناً تُعاكس النّاس

أو لعلّها تفعل هذا دائما

ربما تجد أنّ طالباً ذكيّاً قد فشل

ماذا لو أعدته إلى الطريق؟!

قد تجد إنساناً طيّباً صادقاً طائعاً جرّته حبال المعصية

ماذا لو أعدّته إلى الطريق؟!

كلمة حانية تصنع المعجزات

وموقف اهتمام يُبدّل الأحوال

تربيتة على كتف تُشكل بداية جديدة

النّاسُ يتعثّرون دوماً

فلا تقفز فوق متعثّر

إذا كان بإمكانك أن تمدّ له يدك لتقف

.

.

البقر

قال عمر الورّاق :
رأيتُ كلثوم بن عمرو العتابيّ الشّاعر
يأكل خبزاً في الطّريق بباب الشّام
فقلتُ له : ويحكَ ، أما تستحي من النّاس؟!
فقال : أرأيتَ لو كنتَ في مكان فيه بقر
أكنتَ تحتشم أن تأكل والبقر يراك؟!
فقلتُ : لا
فقال . اصبر حتى أُريك أنّ هؤلاء النّاس بقر !
ثمّ قام ووعظ وقصّ ودعا
ولمّا كثر الزّحام عليه قال لهم :
رُوِيَ لنا من غير وجه أنّه من بلغ لسانه
أرنبة أنفه لم يدخل النّار !
فلم يبقَ أحدٌ منهم إلا وأخرج لسانه
يريد أن يرى إن كان لسانه يبلغ أرنبة أنفه !

.

الدّرس الأوّل:
في كلّ مجتمع عامّة ونخبة
وقد جرت العادة أن تُقوّض العامة النخبة

تسيير أمور المجتمع والسّياسة والاقتصاد
فلا يُتصوّر قيام تجمّع إنسانيّ
لم يكن فيه شكل من أشكال السلطة
والسلطة هي تفويض !
حيث ترتضي الأكثريّة أن تضع أمرها بيد فرد أو جماعة منها
وتُنيط بها إدارة المجتمع واتخاذ القرارات فيه
وعندما تفوّض الأكثريةُ العاديّة النخبة الواعية والمثقفة والقوية
فهي لا تنسحب من المشهد الحياتي
على العكس تبقى شريكاً أساسياً فيه
وركيزة تحتاجها الأقليّة لتمارس تميّزها
مبدأ التفويض هذا أعلى درجات الوعي
حتى في عهد الصّحابة لم يكن النّاس سواء
كانوا ككل المجتمعات نخبة وعامة
وفي حجّة الوداع حجّ مع النبي صلى الله عليه وسلم
زهاء مئة وأربعة عشر ألف صحابيّ
الذين نعرفهم نحن عموم المسلمين بالأسماء لا يتجاوزون المئة
إننا نعرف النخبة
هذه القلّة التي أحدثت فارقاً في المشهد الحياتيّ
ولكن هذه القلّة لم تكن لتحدث فارقها هذا
دون هذه الكثرة المجهولة !
إننا نعرف بأس خالد بن الوليد رضي الله عنه
ولكن علينا أن نعرف أنّه كان وراء خالد عشرات ألوف المجهولين

الدرس يدرس لهم خالد بهذا المجد الذي صنعه
فخالد على بأسه وشجاعته وحنكته العسكريّة المذهلة
لا يمكنه أن يهزم جيشاً وحده
فكما احتاجت الأكثرية خالداً ليأخذ بأيديها وسيوفها
ويوجّه طاقاتها ويستخرج ما أمكنه منها
كذلك احتاج خالد هذه الأكثريّة
ليُظهر بها ومن خلالها ما يملك من موهبة وجرأة
الأمر شراكة أكثر منه حاكم ومحكوم
أو رئيس ومرؤوس
فكما تعترف الأكثريّة بفضل الأقليّة
على النّخبة هذه أن تحفظ للأكثريّة فضلها
العلاقة بينهما كالعلاقة بين فكّي الفم
لا يمكن لأحدهما أن يقطع الطّعام وحده !
الإثنان يحتاجان بعضهما الآخر
كما يحتاج الذي يريد أن يُصفّق كلتي يديه
يد واحدة لا تُحدث تصفيقاً مهما حاولنا !

.

.

الدّرس الثّاني:
عندما تفعل الخطأ تُسيء إلى نفسك لا إلى النّاس
هذه البديهيّة من أهمّ ما ينقصنا هذه الأيّام
فالحرّ لا يسرق لأنّ السرقة ضدّ القانون

ولا مخافة أن يُمسَك عليه فيُلقى في السّجن
ولا مخافة أن يُعرف بين النّاس بالسّارق
هذه روادع ليس إلا
ولكنّ الحرّ لا يسرق لأن السرقة ضدّ قيمه ومبادئه ودينه
ربط كلّ شيء بالثواب والعقاب
هو عقليّة العبيد وسبيلهم في الحياة
أما الأحرار فلهم شأن آخر
يُسيّرون حياتهم وفق قيمهم ومبادئهم ودينهم
وهمّهم في الحياة أن يحترموا أنفسهم قبل أن يحترمهم الجميع
فلا يفعلون الصواب لينالوا استحساناً
ولا يمتنعون عن الخطأ خوفاً من عقاب
وإنّما يفعلون الصواب ويمتنعون عن الخطأ مدفوعين من إيمانهم بمبادئهم!
يجب أن نتخلّص من عقليّة العبيد هذه
ومن سجن الثّواب والعقاب
القيد الوحيد الذي يجب أن يُكبّل فيه المرء نفسه
هو قيد القيم والمبادىء
إذا لم يكن للإنسان مبادىء يصبح مثل مقبض الباب
كلّ شخص يديره كما يشاء
ما أتعس أن يحيا المرء إمّعة
يُحسن إذا أحسن النّاس ويُسيء إذا أساؤوا!
علينا أن نعرف أن المجتمعات مليئة بالتّناقض

وأنّ معيار الصواب والخطأ
ليس ما يفعله النّاس
ولكن ما يرضاه الله ورسوله
قانوناً الرّبا حلال !
البنوك منتشرة وبإمكان أيّ كان
أن يودع ماله عندها ويأخذ نسبة محددة نهاية كل مدة يتفقان عليها
وبإمكانه أن يأخذ قرضاً
ثم يسدده بزيادة مبلغ محدد يتفقان عليه
هذا في القانون لا شيء فيه
ولكن في الشّرع هذا ربا
فإن كان القانون سيحاسبنا يوم القيامة
فلا بأس بالربا وسنجيره أنا أعطاه
أما إن كان الله سيحاسبنا يوم القيامة وهو سبحانه سيفعل
علينا أن نحذر
المجتمعات تمرض كما يمرض النّاس
والذّي يسبح عكس تيّار المجتمع يتعب لا شك
ولكنّه يربح احترامه لنفسه
الذين يذوبون في الأكثريّة ليسوا إلا أرقاما ضئيلة
لا يلتفتُ إليها أحد
تماماً «كالفكّة» في مال ثريّ !

الدّرس الثّالث:

لا تكن فوقيّاً

العلم بلا أخلاق جهل

والمال بلا أخلاق فقر

والنجاح بلا أخلاق فشل

وتذكّر دوماً لا يتكبّر إلا من كان به نقص

المكتملون من الدّاخل لا يحتاجون أن يتكبّروا

بالتّكبر يرمّ النّاقصون نقصهم

إذا كان المال سيصيبك بالتّكبر

تذكّر سليمان عليه السّلام

ملك الدّنيا من مشرقها إلى مغربها

وحكم إنسها وجنّها

ونزل عند أمره حيوانها وطيرها

ثمّ ماذا حدث عندما وصل إلى وادي النّمل

سمع النملة تنصح قومها:

«يا أيّها النّمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون»

فارتسمت على ثغره ابتسامة

ملكَ الأرض وتوقّف عند نملة

الناقص إذا علا منصبه لا يرى النّاس حوله

هذا هو الفرق بين الكبار والصّغار

الكبار إذا علت مناصبهم

صاروا أكثر تواضعاً
والصغار إذا علت مناصبهم
صاروا أكثر تكبّراً!

.

.

الدّرس الرّابع:
تعليم الآخرين خير من السّخرية منهم
النّاس ليسوا للتندر ولو كانوا جهلة
وليسوا للشماتة ولو كانوا عصاة
وليسوا للازدراء ولو كانوا فقراء
وليسوا للاحتقار ولو كانوا مشرّدين
بدل أن تتندر على الجاهل علّمه
واحمد ربّك على العافية
ربما لو عشتَ ظروفه لكنتَ هو!
بدل أن تحتقر عاصياً دلّه على الطريق
واحمد ربّك على العافية
ربما لو عشتَ ظروفه لكنتَ هو!
بدل أن تزدري فقيراً ساعده
واحمد ربّك على العافية
ربما لو عشت ظروفه لكنت هو!
من كسب جمالاً بقوّته
فليزدرِ القبيحين من حوله

ومن اغتنى بقوّته
فليردِ الفقراء من حوله
ومن كسب أولاداً بقوّته
فليتدرّ على الذين حُرموا الأولاد
إيّاك أن تسخر من أحد
قضى محمّد ابن سيرين مفسّر الأحلام الشّهير عمره غنيّاً
فلما افتقر قال :
انتظرُ هذه اللحظة منذ عشرين سنة
كنتُ قد عيّرتُ رجلاً بالفقر
فعلمتُ أن الله سيبتليني بما ابتلاه به
ويقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :
لو عيّرتُ امرأة بالحمل على سبيل السّخرية
لخشيتُ أن أحبل !
ما سخر أحد من عاهة أحد
إلا أُصيب بها
ومن عيّر بشيء عُيّر به !
ومن وقف ساخراً وُقف عنده بالسّخرية
الدّنيا كأس دائماً نشرب ما سكبناه فيها !

.

.

الأعمى

جلس رجلٌ أعمى عند ناصية الشّارع
وضع قبّعته أمامه
وبجانبه لوحة مكتوب عليها :
أنا أعمى ، أرجوكم ساعدوني
مرّ رجل إعلانات بالأعمى
ونظر في قبّعته فلم يجد فيها إلا القليل
ودون أن يستأذن الأعمى
أخذ لوحته وكتب عليها عبارة أخرى
وأعادها إلى مكانها ومضى في طريقه
لاحظ الأعمى أنّ قبّعته قد امتلأت
فعرف أنّ شيئاً قد تغيّر
وأدرك أنّ ما سمعه من صوت الكتابة على اللافتة
هو سبب هذا التغيير
فسأل أحد المارّة عما هو مكتوب عليها
فقال له :
نحنُ في فصل الرّبيع ولكنّي لا أستطيع رؤية جماله
.
.

الدّرس الأوّل:
لإعلانات سيفٌ قاطع
يقف وراءها جيش من الخبراء وعلماء النّفس
لأنّ الإعلان يهدف إلى بيعك سلعة
لا تحتاجها بالضّرورة
ولكنّه يُزيّنها لك بحث يخلخل تفكيرك
ويحوّلها في نظرك من الكماليّات إلى الأساسيّات
هناك رأي عام تصنعه الإعلانات
سواء كانت تجاريّة أو سياسيّة
يتمُّ يوميّاً حشونا بالإعلانات من كل نوع
حتى صرنا ما أرادونا أن نصيره
كلّ المنتجات التي يعرضونها
كانت الدّنيا تسير بخير قبلها
هذا يثبت أنّه بالامكان الاستغناء عنها
صحيح أنّ بعض المنتجات تجعل الحياة أسهل
وأكثر رفاهية
ولكن لا شك أنّه يتم تضخيم دور هذه المنتجات
لتبدو الحياة مستحيلة دونها
ودوماً يستعينون بالمشاهير
ليبيعونا ما قرروا أن يبيعونا إيّاه
يكفي أن تعرض ممثلة لشامبو
حتى تهرع النسوة لشرائه

ويكفي أن يعرض لاعب كرة قدم لشفرات حلاقة
حتى يهبّ الرّجال لشرائه
للإعلانات اليوم سطوة لا يمكن إنكارها
على أصحاب المبادىء أن يتقوها
بالإمكان استخدام السّيف المسلط عليك
بحيث يُصبح سيفاً لك
أسهل وأنجع من محاربة التّطور
هو التفكير بطريقة راقية لاستخدامه
فالأشياء بمعظمها لا تحرُم بذاتها
وإنّما بوجه استعمالها
التلفاز الذي يعرض برنامجاً نافعاً
هو نفسه الذي يعرض آخراً مضراً
المشكلة إذا ليست في التلفاز
وإنّما بالعقلية التي تجعلنا نختار ماذا نشاهد
وعليه قِسْ !
كلّ ما وصلت إليه البشريّة من اختراعات
المشكلة بالمجمل ليست في الاختراع وإنما في آليه استخدامه
لا يمكن تحريم السّكاكين لأنّ شخصاً قد يستخدمها في القتل !
السّكاكين مجرّد أدوات تكون ذات فائدة في المطابخ
وذات ضرر في صدور النّاس !
وجه استخدامها هو الذي يحدد موقفنا من الأشياء

.

الدّرس الثّاني

غيّر طريقة كلامك

نفس المعنى يمكن أن يصل بأسلوب ألطف

ويحقق نفس النتيجة

أو يحقق نتيجة أعظم

ويترك في النّفس أثراً أجمل

إذا قلت لزوجتك : هذا الطّعام شهيّ

وسيكون أشهى لو كان الملح أخفّ

هذه عبارة ألطف من أن تقول : هذا الطعام مالح

تخيّل جهد ساعات في المطبخ

تنسفه أنتَ بكلمة لا تلتفت لأثرها

عليك أن تُقنع النّاس بجدوى ما يفعلون

كي يستمروا بفعله !

الذي يصنع معك معروفاً

قد يتوقّف إذا لم يلقَ عندك استحساناً

إذا قلتِ لزوجكِ : أنتَ فوضويّ

هذه عبارة لاذعة

ماذا لو قلت : أنتَ إنسان جميل

ستصبح عظيماً لو كنتَ مرتّباً أكثر

هذه عبارة ستحثّه على أن يتغيّر

نفس المعاني يُمكن إيصالها بأساليب مختلفة

ونفس الجملة يمكن صياغتها بأكثر من شكل

الكلام كالطّين الذي بين يديّ صانعي الفخّار
بعضهم يصنع أواني مثقوبة
وبعضهم يصنع أواني عاديّة
وبعضهم يصنع أواني كأنّها تحف فنّية
وهكذا هو الكلام متاح للجميع
ولكن الجميع لا يجيدون استخدامه
البعض كلامه كالآنية المثقوبة
فوق أنّها لا تنفع تضرّ
حيث يتسرّب منها ما نضعه فيها
والبعض كلامه كالآنية العادية
مجرّد أدوات للتواصل
والبعض كلامه كالآنية التّحفة
تحفظ السّوائل . . .
وتؤدي عملها . . .
ومتعة للنّاظرين !
هكذا هو الكلام الحُلو
يأخذ القلوب ويسلب الألباب
ويصنع المعجزات في النّاس
.
.

الدّرس الثّالث:

نحن نُخرج أحسن ما في الآخرين

ونحن نُخرج أسوأ ما فيهم!

سلوك البعض أحياناً ليس إلا ردّة فعل

لو تأملنا في علاقتنا معهم جيّداً

لاكتشفنا أننا من أوصلهم إلى هذا

أسوأ ما في النّاس في هذا العصر

أنّهم يُحاكمون ردّات الأفعال

ولا يُحاكمون الأفعال ذاتها!

تجد أحدهم يطعنك من الخلف

فإذا صرختَ في وجهه حاسبك على صوتك

ولم يحاسب نفسه على سكّينه في ظهرك

يريدون إن صفعوك أن تدير لهم خدّك الآخر

حَذَارِ ألا تفعل

سيحاسبونك على فظاظتك!

ولكنّ أحدهم لن يلتفت إلى صفعته

ثمّ يقولون لكَ لحظة غضبك: هذا أنت!

لا يا عزيزي هذا ليس أنا

هذا ما تريده أنت!

من غير الطبيعي أن يكون المرء طبيعيًا في ظروف غير طبيعيّة

اختبار جودة الأداء !

ذهب طفلٌ في الثّانية عشرة من عمره
إلى بقّالة ليستخدم الهاتف
رفع السّماعة وطلب الرّقم وبدأ مكالمته
لفت المنظر صاحب البقّالة فسترق السّمع
قال الفتى : سيّدتي أيمكنني أن أعمل عندكِ في تهذيب عشب حديقتكِ
فأنا ماهرٌ في هذا !
أجابت السّيدة : لديّ من يقوم بهذا العمل
قال الفتى : سأتقاضى نصف أجر العامل عندكِ !
قالت له السّيدة : أنا راضية عن عمل من يعمل عندي
ولا أريد أن أستبدله بآخر
أصبح الفتى أكثر إلحاحاً وقال :
سأُنظّف أيضاً ممرّ المشاة والرّصيف أمام منزلكِ
وسأجعل حديقتكِ أجمل مما هي عليه
ومرّةً أُخرى رفضت السّيدة
فأقفل الصبيُّ السّماعة وابتسامة عريضة على ثغره
فقال له صاحب البقالة :
أعجبتني همّتك العالية ، ما رأيك أن تعمل عندي؟
تقوم بإيصال الأغراض إلى البيوت

وسأعطيكَ الرّاتب الذي كنت ستتقاضاه من السّيده
فقال له الفتى : شكراً لعرضكَ سيّدي
كنتُ فقط أتأكّد من أدائي لعملي
أنا الذي أعمل في حديقة السّيده التي كنتُ أُحادثها !

الدّرس الأوّل:
«إنّ الله يُحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»
عملاً هكذا بالتّنكير
ليدخل فيها كل عمل صغيراً كان أم كبيراً
أصحاب الوظائف كثر
وأصحاب المهن أكثر
ولكن الذي يُميّز بين واحد وآخر هو مدى اتقانه لعمله
حلّاق يُقصد من أقصى المدينة
وخيّاط يُؤتى إليه من مكان بعيد
إنّه الإتقان !
طبيبٌ يُطلب بالاسم
ومهندسٌ يُستقدم من بعيد
إنّه الإتقان !
لا يوجد مهنة وضيعة
يوجد مهنة بسيطة فقط
وهذه المهنة على بساطتها ضروريّة للنّاس

المجتمع كسلسلة يحتاج كلّ حلقة فيه
إذا سقطت حلقة انفرط العقد
فاتقن عملكَ مهما كان بسيطاً
.
.
الدّرس الثّاني:
لا تخجل من مهنتك مهما كانت
«ما أكل أحد طعاماً خيراً من كسب يده»
البسطاء هم الذين يجعلون الدّنيا أجمل
شرطيّ المرور يُنظّم شارعاً كاملاً
وعامل الحديقة يُزيّن وجه مدينة
وعامل النظافة يستميتُ لتبدو أجمل
والحلاق يتفانى لتبدو أبهى
المزارع البسيط يُطعم الآلاف
والصّياد يغرف من الماء طعام النّاس
وعامل الفرن يسدُّ جوع كثيرين
لا تنظر إلى مهنتك بازدراء
انظرْ إلى أثرها في النّاس
الطبيب الذي يعالج المرضى
لا يسدُّ مكان السمكريّ إذا طغى الماء في البيت
والمهندس الذي يرفع البنايات الشّاهقة
يحتاج إلى العمّال البسطاء ليرفع بنايته

الجرّاح الماهر مدين سائق سيّارة الإسعاف
الذي يوصل إليه المصاب وبه رمق من حياة
إذا غرّتك مهنتك المرموقة
جرّب أن تصنع خبزك بنفسك !
وتحيط ثوبك بنفسك !
وتحلق شعرك بنفسك !
وتذبح لحومك وتزرع فاكهتك وخضرواتك بنفسك !
نحن مدينون للبسطاء الذين لو تأمّلنا لوجدناهم عظماء حقّاً !

الدّرس الثّالث:
لا تحكم على عملك بنفسك
اترك للآخرين فرصة أن يخبروك بمدى جودته
المطاعم الرّاقية تضع استمارات لروّادها
يريدون أن يتأكّدوا من جودة خدماتهم
والشّركات الكبيرة تستمع لزبائنها
تريد أن تتأكد من جودة منتجاتها
ليس عيباً أن يسعى المدرّس ليعرف رأي طلابه به
وليس عيباً أن يرى المدير نفسه بعيني موظفيه
وليس عيباً أن يسعى الأب بشتّى الطرق ليعرف رأي أولاده به
وليس عيباً أن يحاول الزّوج والزّوجة أن يعرفا رأي كلّ واحد منهما بالآخر

على العكس تماماً العيب هو أن لا نفعل
اولّ من برجك العاجيّ قليلاً
لا يوجد عمل لا يحتاج اختباراً للجودة
أخطرّ ببالك ماذا كان عمر رضي الله عنه
يتنكّر في زيّ العامّة ويتفقّد أحوال النّاس
كان يقوم باختبار الجودة !
وكلما عثر في الرّعيّة على من لا يعرفه سأله فوراً :
ما تقول في عمر؟!
كان يريد أن يعرف مكانه بنفسه
ويقف على أدائه دون واسطة البطانة بينه وبين النّاس !

.

.

الدّرس الرّابع:

الإتقان سمة الأنبياء !
قضى نوحٌ عليه السّلام ???سنة دون كلل
يدعو قومه ليلاً ونهاراً
زُرافاتٍ ووحداناً
من جاءه مسلماً أقبل عليه
ومن ابتعد عنه عاصياً لحق به
استسلام كامل للوظيفة التي كُلّف بها !
يُلقى إبراهيم عليه السّلام في النّار
فيخرج منها ليُكمل ما كُلّف به

يُؤمر بذبح ابنه فيطرحه أرضاً . . .
ويستلُّ سكينه
يؤمر برفع البيت . . .
فيهبُّ ليرفعه
استسلام كامل للوظيفة التي كُلّف بها
يهربُ موسى عليه السّلام من بطش فرعون
وعندما أُمر أن يرجع إليه عاد
استسلام كاملٌ للوظيفة التي كُلّف بها
يُرجم نبيٌّ من الأنبياء
فيسيل دمه على وجهه
فيقول : ربِّ اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون
استسلام كاملٌ للوظيفة التي كُلّف بها
يُقال لمحمد صلى الله عليه وسلّم : «انذر عشيرتك»
فيجمعهم عند جبل الصفا
يُؤمر بالهجرة فيترك مكّة
يُؤمر بالحرب فيمتشق سيفه
يُؤمر بالصلح فيعقد الحُديبية
يُؤمر بقيام الليل فتتشقق قدماه من القيام
استسلام كامل للوظيفة التي كُلّف بها !

التّدرّج :

كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
معروفاً بالحكمة والرّفق
وفي أحد الأيّام دخل عليه أحد أولاده
وقال له : يا أبتِ لماذا تتساهل في بعض الأمور
والله لو أنّي مكانك ما خشيتُ في الحقّ أحداً
فقال الخليفة لابنه : لا تعجل يا بُنيّ
فإنّ الله ذمّ الخمر في القرآن مرّتين
وحرّمها في الثّالثة
وأنا أخاف أن أحمل النّاس على الحقّ حملةً
فيرفضوه ثمّ تكون فتنة
فانصرف الابنُ راضياً بحكمة أبيه

.

.

الدّرس الأوّل:

عمر بن عبد العزيز أعدل النّاس بعد الرّاشدين
لُقّب بالخليفة الخامس
لأنّ عهده كان أشبه العصور بحقبة الأربعة العظماء
وأشبه ما يكون بجدّه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه
فالفاروق هو جدّ أمّ عمر بن عبد العزيز !

وصلة القربى هذه بدأت في خلافة الفاروق رضي الله عنه
كان يتفقّد أحوال الرّعيّة ليلاً
فسمع امرأة تقول لابنتها : امذقي اللبن بالماء !
أي اخلطيه بالماء ليكثر !
فقالت البنت لأمّها : ولكنّ عمر بن الخطّاب نهى عن مذق اللبن بالماء !
فقالت الأم : ولكنّ عمر بن الخطاب لا يرانا !
فقالت البنت : إن كان عمر لا يرانا فربُّ عمر يرانا !
أُعجب الفاروق بإيمان البنت
وذهب إلى بيته وجمع أولاده
وطلب منهم أن يتّخذها أحدهم زوجةً له
فتزوّجها عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما
فولدت ابنة بائعة اللبن بنتاً صارت حفيدة عُمر
فلما كبرت تزوّجت عبد العزيز بن مروان بن الحكم
فأنجبا العادل عمر بن عبد العزيز
وليَ أبوه مصر
ولكنّه تركه وأمّه في المدينة حيث بقيّة الصحابة
وكان عمر بن عبد العزيز شديد الحبّ لعبد الله بن عمر
وكان يقول لأمه عندما أكبر سأصير مثله
فتقول له : هيهات أن يكون أحد مثل عمّي !
وعندما لحقت الأمّ بزوجها إلى مصر
تركت ابنها عند آل الخطاب فحفظ القرآن صغيراً

وهو ابنهم نسباً وتربية
وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قد رأى في المنام أكثر من مرّة
أنّ أحد أحفاده سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً
حتى شاع هذا بين النّاس لكثرة حديث عمر عنه
وكان عمر يرى في وجه حفيده أثراً
أي علامة تلزم جبهته نتيجة ضربة أو أذى
وعندما كان عمر بن عبد العزيز صغيراً
وكان برفقة أبيه في اسطبل الخيل
وقع على جبهته فشُجّ وسال دمه
فعلم أبوه أن أثراً سيبقى منها في جبهته
فقال له : إن كنتَ أشجّ بني أميّة إنّك إذاً لسعيد !
وكان أشجّ بني أميّة فعلاً
وليَ المدينة المنوّرة في عهد الوليد بن عبد الملك
ثمّ وليَ الشّام له بعدها
وعندما آلت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك قلّده ولاية العهد
وبعد وفاته وليَ عمر بن عبد العزيز الخلافة
وكان أوّل ما فعل أن ردّ أموال بني أميّة إلى بيت المال
وبدأ بذهب زوجته فاطمة بنت عبد الملك
فقالت : هذا مال أعطاني إيّاه أبي !
فقال لها : لم يكن لأبيكِ ليعطيكِ إيّاه !
وخيّرها بين أن تردّ الذهب وتبقى عنده أو يفترق

فاختارته وردّت الذّهب إلى بيت المال
ثم بدأ بكلّ أرضٍ مسلوبة فردّها إلى أهلها
وكان عهده عهد خلافة راشدة
ملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً
حتى أنّه من طريف ما يُروى عن زمن خلافته
أنّه ما هجم في عهده ذئب على شاة !
وكان أحد الرّعاة في الفلاة يرعى غنماً له
فإذا بذئب يهجم على إحدى غنماته
فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله مات عمر بن عبد العزيز !
فلما رجع إلى المدينة وجد عمر قد مات !
والأرجح أنّه مات بالسمّ على يد بني أميّة
فقد أخذ منهم ما لا يحقّ لهم
فلم يرضوا الفقر والمساواة بالنّاس
فدسّوا له السمّ في الطّعام ومات !



ويُروى عن عمر بن عبد العزيز قصصاً حقيقية تُوفي للخيال
فكأنّه جدّه الفاروق في العدل
عادلٌ حدّ الذّهول
رقيق القلب حدّ العجب
أبٌ للرّعيّة يشفقُ عليها ويهتمّ لأمرها
أنفق مرّةً كلّ ما في بيت المال على المسلمين
ثم غسله بالماء والطّيب وصلّى فيه ركعتين
شكراً لله أن أعانه على أداء الحقوق

وجاءه عامله على العراق
فأخذ عمر يسأله عن أحوال الرعيّة
وعن سيرته فيهم ورحمته بهم
ولما انتهى منه سأله عامله :
وكيف أنتَ يا أمير المؤمنين؟
فقال له عمر : انتظر !
وقام إلى السّراج فأطفأه
ثم أخرج شمعة صغيرة وأضاءها
وقال له : أنا والحمد لله بخير !
فاستغرب عامله من فعله هذه وسأله عنها
فقال له عمر السّراج زيته من بيت المال
وأضأته لأني كنتُ أسألك عن أحوال المسلمين وهذا زيتهم
أما وقد سألتني عن حالي فقد أطفأتُ سراجهم وأوقدتُ شمعتي!
وكان في المسجد يوماً
وكان المسجد مظلماً لا يرى أحدهم فيه إصبعه
فمشى في الظلام فإذا به يدوس قدم رجل
فصرخ الرّجل فيه قائلاً : أعمى أنت؟
فقال عمر : لا !
فقام إلى الرجل من كانوا حول عمر
فقال لهم : دعوه ، رجل سألني فأجبته !
وجاء نصرانيّ يشكو إليه واليه على الشّام
فقد أراد بناء مسجد فوق أرض النصرانيّ

ولكنّ النّصرانيّ رفض أن يبيعها له
فما كان من الوالي إلا أن أخذها منه وبنى المسجد
فأمر عمر أن يُهدم المسجد وتعاد الأرض إلى صاحبها !

الدّرس الثّاني:
الرّفق ليس ضعفاً
لا يرفقُ إلا الأقوياء فعلاً
القساة هم الضّعفاء !
فالرفقُ والعدلُ ثقيلان لا يقوم بهما إلا قويّ !
وقد كان عليه الصلاة والسّلام أرفق النّاس
يأتيه شاب يستأذنه في الزّنا
فيغضب الصحابة رضوان الله عليهم
أما الرحمة المهداة فيسأله : أترضاه لأمك؟!
أترضاه لأختك؟!
أترضاه لابنتك؟!
والشّاب يقول كلّ مرّة لا
ثمّ يمسح على صدره بكلّ حنان ويدعو له !
ويبول أعرابيّ في المسجد فيقوم إليه النّاس غاضبين
فيهدّىء من روعهم
ويأمر بدلو ماء تُسكب حيث الأذى
ولا يمسّ الأعرابيّ بسوء !

وكانت ليلة عائشة رضي الله عنها
فأرسلت إليه إحدى زوجاته طعاماً
فأخذته عائشة ورمته حتى انكسرت القصعة التي كان الطعام فيها
فابتسم وقال لمن حوله : غارتْ أمكم !
والتفتَ إليها وقال : أعطيها قصعتكِ !
هكذا بكل رأفةٍ ولين
تشكو إليه عصفورة فقد فراخها
فيقول للصحابة : من فجع هذه بأولادها
فيعيدون الفراخ إلى أمهم
ويوم دخل مكة ومثل أهلها بين يديه
أهلها الذين شتموه فقالوا مجنون وساحر وكذّاب
وضعوا على رأسه سلا الجزور وهو ساجد عند الكعبة
تآمروا لقتله يوم خرج مهاجراً
وتبعوه إلى الغار لا يريدون إلا دمه
ثمّ ماذا فعل؟!
قال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء
هكذا هم الكبار إذا ملكوا عفوا !

.

.

الدّرس الثّالث:

هناك ما هو أعظم من فهم عبادات الشّريعة
وهو فهم مقاصد الشّريعة
وهذا ما فعله عمر رضي الله عنه عام الرّمادة
إذ أوقف حدّ السّرقة
فلم يقطع يداً والنّاس جياع
علم عمر أن الإسلام ما جاء لقطع الأيدي
وإنّما شرع هذا لحفظ حقوق النّاس
أمّا وقد جاع النّاس
فقد يسرق أحدهم ليطعم ولداً رقّ قلبه عليه
ولو ملك قوت أولاده ما سرق
علم عمر أنه قبل تطبيق الحدود
لا بدّ أولاً من إزالة الأسباب التي تؤدي إلى الوقوع فيها
لهذا لا يُطبّق الإسلام حدّ جلد شارب الخمر
حتى يملك قوة إزالتها أولاً
وإلا كيف يستقوي على ظهور النّاس
وهو عاجز عن إزالتها من أمام عيونهم
أما وقد أزالها وسعى لمحاربتها
فعندها لا رأفة في تطبيق حدود الله
حتى هذا الحدّ الذي يبدو قاسياً
نجد قمّة الرحمة في آليات وظروف تطبيقه
لهذا علينا قبل أن نشرع بتطبيق الإسلام




أن نفهم الغاية التي جاء بها الإسلام
فقد جاء ليحفظ الأموال
لا ليقطع الأيدي
وجاء ليحفظ العقول
لا ليجلد الظهور
وجاء ليحفظ الأعراض
لا ليرجم النّاس بالحجارة !

أسئلة الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ 1

يُحكى أنّ الحجّاج سأل يوماً الغضبان بن القبعثريّ
عن مسائل يمتحنه فيها
وكان من جملة ما سأله : من أكرم النّاس؟
فقال الغضبان : أفقههم في الدّين
وأصدقهم لليمين
وأبذلهم للمسلمين
وأكرمهم للمُهانين
وأطعمهم للمساكين



الدّرس الأوّل:
العالم أحبّ إلى الله من العابد
وفي كليهما خير
والله يحفظ هذا الدّين بالعلماء لا بالعُبّاد
فالعالم أنفع للأمة من العابد
لأنّ العابد خيره لنفسه
أمّا العالم فخيره لنفسه وللنّاس
ولطالما كانت الأمة إذا ادلهمّتْ بها الخطوب لاذت بالعلماء لا بالعبّاد

فها هو ابن عبّاس رضي الله عنهما يُلجم الخوارج
ولم يُلجمهم بكثرة صيامه وصلاته
وإنّما ألجمهم بكثرة علمه
كيف لا وهو حبر الأمة وترجمان القرآن
دعا له سيّد النّاس فكان من أفقه النّاس
يدنيه الفاروق رضي الله عنه وهو صبيّ
وعندما لام الشيوخ عمر في هذا
أرسل في طلبه ثم سألهم وابن عبّاس حاضراً
ما تقولون في قوله تعالى ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾
فقال بعضهم هو عزّ الإسلام
وقال بعضهم عجزتُ
ثمّ قال عمر لابن عبّاس : ما تقول أنتَ فيها؟
فقال : هي أجل رسول الله !
فقال عمر : واللهِ ما أعلم فيها غير هذا
وعندما خرج الخوارج على عليّ رضي الله عنه واجتمعوا لقتاله
رأى ابن عبّاس أنّ علمه لهذا الوقت العصيب
فلبس أحسن ثيابه وتطيّب بأحسن الطيب وذهب إليهم
فلّما رأوه قالوا : ما هذا يا ابن عبّاس؟!
فقال لهم : «قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطّيبات من الرّزق»
فسكتوا كأنّ على رؤوسهم الطير !
ثمّ سألهم : ما تنقمون على عليّ

قالوا : ثلاثاً

* فقال : ما هي؟

قالوا : أولاهُنَّ إنه حكَّم الرجال في أمر الله

* وقال الله . ﴿إنِ الحُكْمُ إلاَّ لله ﴾ * ما شأن الرجال والحكم؟

فقال ابن عباس : هذه واحدة .

قالوا . وأمَّا الثانية ، فإنه قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم

إن كانوا كفَّارًا لقد حلَّ سبيهم

ولئن كانوا مؤمنين ما حلَّ سبيهم ولا قتالهم .

قال ابن عباس : هذه ثنتان ، فما الثالثة؟

قالوا : ومحا نفسه من إمارة المؤمنين

فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين!

قال ابن عباس : هل عندكم شيء غير هذا؟

قالوا : حسبنا هذا

فقال ابن عباس : أمَّا قولكم : حكَّم الرِّجال ، فقد قال الله تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾

فإن كان الله قد قبل تحكيم الرجال في دم أرنب يصيبه مُحرم

أكان لا يقبله في دماء المسلمين

قالوا : بلى فهذا أولى

ثم أردف قائلا :

وقال الله تعالى في المرأة وزوجها :

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾

فإن كان الله قد رضي تحكيم الرجال في إصلاح ذات بين امرأة وزوجها

أتراه لا يرضاه في إصلاح ذات بين المسلمين

قالوا: بلى، هذا أولى

فقال ابن عباس: أخرجتُ من هذه؟

قالوا: نعم.

ثم قال: وأمّا قولكم، قاتل ولم يَسْبِ ولم يَغْنَم

أفتَسْبُون أمّكم عائشة؟!

تستحلّون منها ما تستحلّون من غيرها وهي أمّكم؟

فإن قلتم: إنّا نستحلّ منها ما نستحلّ من غيرها فقد كفرتم

وإن قلتم: ليست بأمّنا فقد كفرتم

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾

فأنتم بين ضلالتين فأتوا منها بمخرج؟

فنظر بعضهم إلى بعض.

فقال: أفخرجتُ من هذه؟

قالوا: نعم.

وأمّا قولكم: محا نفسه من إمارة المؤمنين

فأنا آتيكم بمن ترضون، قد سمعتم أن نبي الله - صلّى الله عليه وسلّم -

يوم الحديبية صالَح المشركين

فقال لعلي ((اكتب يا علي . هذا ما صالح عليه محمد رسول الله))

* قالوا : لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك

فقال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - :

((امحُ يا علي ، اللهمّ إنك تعلم أني رسول الله ، امحُ يا علي

واكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله))

فوالله لَرسُولُ الله - صلّى الله عليه وسلّم - خيرٌ من علي

وما أخرَجه من النبوّة حين محا نفسه

أخرجت من هذه؟

قالوا : نعم .

فرجع منهم ثلاثة آلاف وقُتل البقية في صِفّين

هذا العلم جنّب المعركة سيوفاً كثيرة

وعندما جاء المعتزلة بفتنة خلق القرآن

لم يقف في وجه الفتنة عابد

وإنّما وقف في وجهها عالم

فثبت أحمد بن حنبل رضي الله عنه

وسُجن وجُلد ولم يهتزّ أو يرضخ

وحفظت الأمّة له فضله حتى قالت :

أبو بكر يوم الرّدة وأحمد يوم الفتنة

وفي قصّة الذي قتل مئة نفس

كان قد قتل تسعاً وتسعين نفساً

ثمّ ذهب إلى عابدٍ وقال له :
قتلتُ تسعاً وسعين نفساً فهل لي من توبة؟!
فقال له العابد : لا !
فقتله وأكمل به المئة !
ثمّ ذهب إلى عالم وقال له :
قتلتُ مئة نفس فهل لي من توبة؟!
فقال له : سبحان الله ومن يمنعك من التّوبة؟!
ولكنّك بأرض سوء
اذهبْ إلى البلد الفلاني فإنّ فيها قوماً صالحين يعينونك على دينك
فارتحل الرّحل إلى البلد التي أخبره بها العابد
ومات في الطريق
وبقية القصّة معروفة يكفينا منها شاهدها !
والشّاهد أن الذي يُستفتى هو العالم لا العابد
فكثرة الصلاة والصّيام ليس بالضرورة أنّ وراءها كثير علم
وإن كان صاحبها محموداً
وخير النّاس من جمع العلم والعبادة

.

ثمّ سأل الحجّاج العضبان بن القبعثريّ :
فمن ألأم النّاس؟
فقال : المعطي على الهوان
المُقتّر على الإخوان
الكثير الألوان

الدّرس الثّاني

هناك أشخاص لهم أكثر من وجه
يخلع أحدهم وجهاً ويلبس آخراً حسب المناسبة
كما يخلع أحدنا ثيابه
إذا جلس بين المتدينين فهو أكثرهم تديّناً
وإذا جلس بين المحلّين فهو أكثرهم انحلالاً
إذا التقى بأهل السّلطة فهو أكثر النّاس طاعة
وإذا التقى بالمعارضين فهو أكثر النّاس معارضة
لا تعرف له وجهاً من قفا
كالحرباء التي يتغيّر لونها
حسب لون الشيء الذي تقع عليه
على جذع الشّجرة بُنيّة
وعلى أغصانها خضراء
وعلى العشب اليابس صفراء
لا أنتَ تعرفُ لونها الحقيقيّ
ولا هي تعرفه !
ولكنّ الحرباء أفضل منهم
فالحرباء تتلوّن متّخذة من هذا سلاحاً
تتخفّى فيه من أعدائها
وتكمن فيه لطرائدها
حيوان كلّ همّه أن يقتات ويعيش أطول
ولا يمكن لومها على تلوّنها

في عالم الحيوان لا مبادىء ولا قيم
الكلّ محارب من أجل البقاء مدفوعاً بغريزته
أمّا النّاس الملوّنون فلا نعرف لماذا يتلوّنون
ولا نفهم كيف يحترم أحدهم نفسه
وكيف يضع أحدهم رأسه على وسادته وينام آخر الليل
لا أنتَ تعرف لونه
ولا هو يعرفه !
حرباء كبيرة بلا مبادىء ولا قيم !
والتّلوّن هو مصطلح مخفف للنّفاق
الكافر الصّريح أخفّ عذاباً عند الله من المنافق
لهذا كان المنافقون في الدّرك الأسفل من النّار
والحُرّ لا يُنافق
لهذا كان العرب الحقيقيّين أصحاب مبادىء
حتى الكفّار منهم !
كان أحدهم إذا كفر أشهر كفره فيعرفه النّاس
وإذا آمن أشهر إيمانه فيعرفه النّاس
لهذا لم يكن في قريش إلا مؤمن أو كافر
كافر لا يخشى أن يُصرّح بكفره
ومؤمن لا يترك إيمانه ولو سلخوا جلده عن لحمه
النّفاق ظهر في المدينة لاحقاً
في فئة العرب الذين تشرّب بعضهم عادات اليهود !

ثمّ سأل الحجّاج العصبان بن القبعثري:
فمن شرّ النّاس؟
فقال: أدومهم صبوة
وأطولهم جفوة
وأكثرهم خلوة
وأشدّهم قسوة

الدّرس الثّالث:

أدومهم جفوة!
الخصام يحدث بين النّاس
وإن كان الخصام ليس ظاهرة صحيّة
ولكنّه ظاهرة طبيعيّة!
النّاس أفكار وأذواق وعقول وقيم ومبادىء ومشارب مختلفة
وإذا ما اختلفت هذه اختلف أصحابها
وأجمل ما في الحياة التّنوع
لو تشابه الجميع لصار هذا الكوكب عيشاً لا يُطاق
ولكن الكبار يظهرون في الخصومة لا في الوفاق
كلّ النّاس في الوفاق سواء
ولكن إذا ما اختلفوا تباينوا!
يظهر لنا الكبير من الصّغير
ويبان العظيم من الوضيع
قال يونس الصّدفي: ما رأيتُ أعقل من الشّافعيّ
تناقشنا في مسألة فاختلفنا

فلقيني بعد مدّة وأخذ بيدي وقال :
يا أبا موسى أما يستقيم أن نكون إخواناً
وإن اختلفنا في مسألة !
هذا حال العقلاء إذا اختلفوا في الأفكار
وهي أثمن ما في الإنسان
فلماذا يصبح النّاس صغاراً إذا اختلفوا في الأشياء
وهي أرخص ما في الحياة
والنّاس عند الخصام ثلاثة
النّوع الأوّل سريع الغضب سريع الرّضا
وهذه بتلك !
هؤلاء طيّبون جداً وحسّاسون
تجدهم لا يملكون زمام قلوبهم وعقولهم
يغضبون بسرعة عند أوّل اختلاف
ويحتدّون عند أول كلمة
وإن كانت هذه صفة مذمومة
إلا أنهم سرعان ما يعودون إلى معدنهم الأصيل
فإذا طيّبتَ خاطرهم رضوا بسرعة
أما النّوع الثّاني : بطيء الغضب سريع الرّضا
وهذا خير النّاس على الإطلاق
لا يغضب إلا يسيراً
يملك زمام عقله وقلبه
يصبر على الأخطاء ويعفو عن العثرات



ولكنّه بهاية المطاف إنسان فيغضب
ثمّ كالأطفال يسامح بسرعة وينسى
وأمّا النّوع الثّالث سريع الغضب بطيء الرّضا
وهذا شرّ النّاس
عليك أن تداريه كي لا يغضب
وأن تتذلل له كي يرضى
فكن على حذرٍ من هؤلاء
.
ثمّ سأل الحجاج الغضبان القبعثريّ
فمن أشجع النّاس؟
فقال: أضربهم بالسّيف
وأقراهم للضّيف
وأتركهم للحيف
.
.
الدّرس الرّابع:
أقراهم للضّيف!
هل الكرم شجاعة؟!
أجل شجاعة!
لأنّ الكرم يلزمه بالضّرورة بذل المال
والإنسان بطبعه حريص على المال
لهذا لم يجعل العرب بخيلاً سيداً لقبيلة

ولو ملك كلّ الصّفات الحميدة الأخرى
وفي قصّة إبراهيم عليه السّلام مع الملائكة
دروس عظيمة في فنّ الضيافة وأدبه
هذا الدّين «اتيكيت» لمن تأمّل فيه !
يقول الله تعالى في هذه القصّة :
«فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقرّبه إليهم قال ألا تأكلون»
وانظر إلى كلمة «راغ»
أي انسلّ !
لا يريد أن يُشعر ضيوفه أنه سيُكلّف نفسه
يراعي مشاعر الضّيف ويشعره أنّه خفيف
يتسلّ كالمتخفي يريد أن يُحدث أمراً
دون أن يلتفت إليه أحد
لم يقل لهم أهلاً بكم سآتيكم بطعام
رغم أنّه لو قال هذا لم يكن عيباً
ولكنّ إبراهيم انسلّ !
ثمّ جاء بعجل سمين
تخيّر لهم أفضل طعام عنده وأحبّه إلى نفسه
لم يُقدّم لهم بقايا طعامه
ولم يذبح أهزل خرفانه
رغم أنّه لا يعرفهم فهم بالنّسبة إليه " قوم منكرون "
ولكنّه يُعلّمنا أنّ الإنسان يُعطي على قدر نفسه
ولا يعطي على قدر النّاس !

ثمّ قرّبه إليهم !
لا يريد أن تُكلّفهم مؤونة أن يتقدّموا إلى الطّعام
بل وضعه أمامهم
أحسّ أنّ في تقريب الطّعام لهم ترميماً لحاجتهم
وإبراهيم لم يُرد أن يُشعرهم أنّهم أهل حاجة !

النّسر الدّجاجة !

يُحكى أنّ نسراً كان يعيشُ في أحد الجبال
وقد بنى عُشّاً كبيراً فوق شجرة أعلاه
وعندما حان وقتُ وضع البيوض
وضعت أنثاه في العُشّ أربع بيضات
ثمّ حدث أن هزّ زلزال عنيف الأرض
فسقطت بيضة من عُشّ النّسر
وتدحرجتْ حتى استقرّتْ في قُنّ دجاج
عثرتْ دجاجة كبيرة في السّن على البيضة
فحنّت لأيّام الشّباب والفراخ
فقررتْ أن ترقد على هذه البيضة حتى تفقس
وبالفعل تعهّدتها بالرّعاية والدّفء
ثمّ دارت الأيام مسرعة تجري جري السّحاب
وفقست البيضة وخرج منها نسر صغير
تربّى النّسر مع الدّجاج فكسب طباعهم
صار يأكل الحَبّ مثلهم
ويمشي مشيتهم . . .
ولم تكن السّماء إحدى أحلامه
فقد تربّى أنّ الدّجاج لا يطير
وفي أحد الأيام كان النّسرُ يلعب في ساحة القُنّ

مع إخوته الدّجاج
شاهد مجموعة نسور تحلّق عالياً في السّماء
تمنّى أن يحلّق مثلهم
لكنّه قوبل بضحكات الاستهزاء من إخوته
وقالوا له : الدّجاج لا يطير !
وبعدها تنازل النّسر عن حلم التّحليق في الأعالي
وعاش دجاجة ومات دجاجة !

.

.

الدّرس الأوّل:
الأغلال الحقيقيّة ليست التي تُكبّل الأيدي
وإنّما تلك التي تُكبّل الهمم والأرواح
والرّقُ الحقيقيّ ليس في الأجساد
وإنّما في المعتقدات والأفكار
هناك أحرار كُثر خلف قضبان السّجون
وهناك عبيدٌ كثر طُلقاء
هذه الحقيقة وعاها الإسلام منذ البداية
فحرر العبيد من الدّاخل أولاً
كسر القيود النّفسيّة التي تُكبّلهم
قبل أن يُطلقهم أحراراً إلى الحياة
كان العبيد قبل الإسلام أشياءً لا أشخاصاً
مجرّد أدواتٍ للإنتاج ليس إلاّ !

يعمل أحدهم في الزّراعة
وقيمته عند سيّده كقيمة المحراث لا أكثر
ويبني أحدهم المعابد ويرفع الهياكل
وقيمته عند سيّده كقيمة الحبل والرّافعة ليس غير
لا ينالون من الطّعام إلا ما يكفل بقاءهم ليعملوا أكثر
ومن الرّاحة ما يكفي ليشحن أجسامهم
بمزيد من الطاقة كي يقوموا بمزيدٍ من العمل
وأثناء العمل يُجلدون بالسّياط ليجتهدوا
كما يفعل الفارس بدابته إذا أرادها أن تُسرع !
وظلّ العبيدُ هكذا قروناً حتى بزغ فجر الإسلام
فنقلهم من خانة الأشياء إلى خانة الأشخاص
لهم حياة يُمنع أن تُمسّ
وقد كانوا من قبل يقتل بعضهم بعضاً
في ساحات روما ليتسلّى علية القوم
ولو أنّ سيّداً من قريش ذبح عبداً له في وضح النّهار
ما قام إليه أحدٌ لينهاه
فالعبدُ ملكٌ لسيّده بجسده وروحه
إن شاء عذّبه وإن شاء رحمه
إن شاء قتله وإن شاء أبقاه !
يتصرّف فيه تصرّف صاحب الغنم بغنمه
إن شاء وهبها
وإن شاء ذبحها

وإن شاء أبقاها عنده لينتفع بها !
أمّا الإسلام فكان له شأن آخر
فقد عمد إلى تحرير أرواحهم من الأغلال أوّلاً
صار يخبرهم أنّهم كالأحرار تماماً في أصل الخلقة
الكل يرجعون لآدم، وآدم من تراب !
يغرس فيهم الإنسانيّة
ويخبرهم أنّهم من طينة الأحرار نفسها
وإن اختلفت وظيفتهم في الحياة
وعندما كسر قيود العبيد النّفسيّة
كان بالمقابل يكسر استعلاء الأحرار أيضاً !
ليعيشوا في كنفهم معززين مكرّمين !
فلأوّل مرّة في تاريخ الإنسانيّة يُساوى العبيد بالأحرار
كما في البخاريّ ومسلم من حديث سيّد النّاس :
«من قتل عبده قتلناه، ومن جدع عبده جدعناه
ومن أخصى عبده أخصيناه»!
يُساوي حياة الحُرّ بحياة العبد
وجسده بجسده
والجروح قصاص !
لم يعد العبدُ شيئاً وإنما صار شخصاً
ولم تعد العلاقة بين العبد وسيّده
علاقة مالك الشيء بشيئه
وإنما علاقة قائمة على المودة والإخاء !

وهل أبلغ من قول سيّد النّاس في البخاري :

«إخوانكم خولكم ! فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل

وليلبسه مما يلبس

ولا تكلفوهم ما يغلبهم وإن كلفتموهم فأعينوهم» !

يُنزله منزل الأحرار ليحرره

طعامهم طعامه

ولباسهم لباسه

وإن كلفوه بأمر شاق أعانوه !

وما زال البعض يتشدّقون بقولهم :

كيف أباح الإسلام الرقّ وهو يدّعي الحريّة؟!

وهنا نسأل : هل الإسلام من جاء بالرّق؟!

أم أنّ الإسلام جاء فوجد الرّق قد سبقه؟!

وعندما بدأ الإسلام يُنظّم أموره

إنما تعامل معه تعامل الأمر الواقع

ولكنّه لم يستسلم لهذا الواقع

بل سعى لتغيير ظروفه أولاً

لتحين بعد ذلك لحظة القضاء عليه

ثمّ كيف جاء العبيد؟!

كان النّاس كلّهم أحراراً

ولكنّ جشع الإمبراطوريّات قبل الإسلام هو الذي أوجد الرّق

كان الرومان يغزون الأمم الأخرى

ويقتادون النّاس المغلوبين بالسلاسل ويجعلوهم عبيداً

كلّ من نجا من بطش السّيف
وقع في بطش القيد فصار عبداً
وقتادوه إلى أعمال السّخرة
وعاملوه معاملة البهائم
بل إن التاريخ يُثبت أن أحصنة سادة القوم
حظيت بدلال لم يحظ به العبيد !
وعلى خطى الروماں سار الفراعنة والآشوريّون والكلدانيّون والفرس
وهذا دين كل الأمم الغابرة !
فمتى جعل الإسلام من حرّ عبداً
متى فتح بلداً واسترقّ أهلها
على العكس تماماً
كان الإسلام يفتح البلاد ليحرر أهلها
وليعطيهم حقوقا ما كانت عندهم تحت حكم حكّامهم
فالإسلام لم يكن إقطاعيّاً يحارب لأجل الأراضي
وإنما رسالة لتحرير النّاس من كل قيد وطغيان
رسالة تريد تخليص الناس من عبادة النّاس
وتضعها في طريق عبادة الله
هذه هي العبودية الوحيدة التي يرتضيها الإسلام
وما عداها قيود وأغلال سعى إلى تكسيرها !
ولا شكّ أن قروناً طويلة من ممارسة البشريّة للرّق
غيّرتْ في نفسيّات العبيد
فاختلف البناء النفسيّ للعبد عن الحُرّ

ليس لأنه من جنس آخر
ولا لأنّه من طينة أخرى
بل لأنّ الرّق عطّل أجهزة العبد النّفسيّة
فنمت فيه الطاعة العمياء
وضمرت فيهم المسؤولية والمبادرة
فالعبد يجد نفسه في تحقيق مراد سيّده
لا في تحقيق مراد نفسه
هذا التّبعيّة العمياء
جعلت القيد ضروريّاً عند العبيد
بحيث لا يمكن لأحدهم أن يحيا دونه
وهذا الشّيء لم يغب عن الإسلام
فلم يسارع إلى تحرير أجساد العبيد
وأرواحهم ترزأ في نير القيود والتّبعيّة
بدأ يغريهم بالحريّة
ويضع أمامهم عشرات التّشريعات التي تكفل تحررهم
وعندما اقتنعوا أنّه بإمكانهم أن يكونوا أحراراً
سلكوا الدّرب التي توصلهم إليها!
وفي سعي الإسلام لتحرير العبيد
جعل كثيراً من الكفّارات عتق الرّقاب!
جعل تحرير العبيد عبادة!
وأمر بالمكاتبة فأيما عبد أراد شراء حريّته
فليس لسيّده أن يرفض

أمّا لماذا لم يُحرّم الإسلام الرّق دفعة واحدة
فلأنّ الإسلام حكيم ومتدرّج !
وهذا شأنه في الحياة دوماً
فليست مسألة الرّق التي تدرّج فيها وحدها
فقد ذمّ الخمر أولاً
ثمّ قيّد أوقات شربها
ثمّ أخيراً حرّمها !
وهكذا فعل بالرّق
أمر آخر أنّ العبد كان يُباع ويُشترى
أي هو عند سيّده ثمن ومال
فلو أُخذ العبيد من أسيادهم عنوة
لبدا كأنّه يسلب النّاس أموالهم
ولم يكن ليبلغ هدفه السّامي الذي سعى إليه بداية
وهو تحرير العبيد من الدّاخل
فلو أعتقهم قبل أن يحرر أرواحهم
لذهبوا يبحثون عن سيّد آخر
ولم يكن الإسلام ليرضى أن يحررهم من سيّد
ثمّ يتركهم ليذهبوا إلى سيّد آخر !

.

.

الدّرس الثّاني:

نحن أمّة النسور التي تعيش عيش الدّجاج !

ذات زلزال سقطت أمّة النسور من أعلى الجبل حيث تنتمي

ثم فتحت عينيها لتجد نفسها في قُنّ الدّجاج

فاقتنعت أنها دجاجة !

لم يعد يغرينا التحليق في السّماء

لأننا تربّينا أنّ الدّجاج لا يطير

الأجنحة القويّة التي نملكها لم تضمر

ولكنّ الهمم فترت

فظننا أن لا أجنحة لدينا

الذي يشدّنا إلى الأرض ليس ضعف الأجنحة

ولكنه ضعف الهمم

صرنا نرى واقعنا أقوى منّا

فعشنا واستسلمنا له ولم نسعَ لتغييره

نعتمد على مؤونة هذا وذاك لنأكل

ونسينا أننا أمة كانت تنثر القمح على رؤوس جبالها

كي لا يُقال :

جاع طير في بلاد المسلمين

وكان خليفتنا يخاطب السّحابة في السّماء

أمطري حيث شئتِ فسيعود إليّ خراجكِ

كان لنا حظّ من المطر حيث سقط

وحظّ من الثّمر حيث أينع

وحظّ من القمح حيث نبت
أمّا وقد رضينا بعيش الدّجاج
فلم يعد لنا من هذه إلا ما رضي الآخرون
أن يعطونا إيّاه !
صرنا إذا أُنتهكَ عرض مسلمة
نقول : لا حول ولا قوة إلا بالله
ونتابع حياتنا كأنّ شيئاً لم يكن
وإذا أردنا أن نغضب غيّرنا صور " بروفيلاتنا "
وفتحنا " الهاشتاقات " لنجلد أنفسنا !
ثمّ نرجع إلى قنّ الدّجاج وكأنّ شيئاً لم يكن
وننسى أننا الأمة التي كانت تُسيِّر جيشاً جراراً
لأجل امرأة واحدة تُهان
وأنّ المرأة التي قالت : واسلاماه وامعتصماه
قال لها المعتصم : لبّيكِ
لأبعثنّ لكِ جيشاً أوّله عندي وآخره عندكِ
وعندما دخلت امرأة مسلمة حصن بني قينقاع
وكشف اليهود شعرها
نادتْ : واسلاماه وامحمّداه
فأجلاهم سيّد النّاس عن المدينة !
صرنا إذا أُهين حرٌ أمامنا
احتسبنا واسترجعنا
ونسينا أنّ عمر رضي الله عنه

لم يرضَ أن يُهان نصرانيٌّ على يد ابن واليه
فعندما تسابق ابن عمرو بن العاص وشاب نصرانيٌّ
سبق النصرانيُّ ابن عمرو بن العاص
فضربه وقال له : أتسبقني وأنا ابن الأكرمين
وجاء النّصرانيّ إلى الفاروق شاكياً
فأرسل في طلب عمرو بن العاص وابنه
وقال للنصرانيّ : اضرب ابن الأكرمين كما ضربك !
ثم قال مقولته الشّهيرة :
متى استعبدتم النّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً
صرنا إذا أمّنّا في أوطاننا
والمسلمون حولنا يُعذّبون ويُقتلون
قلنا : ما شأننا وشأنهم؟!
وننسى أننا أمة كان خليفتها يخاف أن يُسأل
عن دابة تتعثر في العراق وهو في المدينة
لِمَ لمْ تُصلح لها الطّريق يا عمر؟!

.

.

الدّرس الثّالث:

نظرتك إلى نفسك هي التي تحدد طريقك في الحياة
إذا اقتنعتَ أنّك دجاجة
فلن تصنع أكثر مما يستطيع الدّجاج
وإذا اقتنعتَ أنّك نسر

ستُحلّق مهما حاولوا تقييد أجنحتك !
الدّنيا كلّها لا تستطيع تدجين شخص
قرر أن لا يكون داجناً !
والدّنيا كلّها لا تستطيع تحرير داجن
قرر أن يكون داجناً
مرتشو العالم كله
لا يستطيعون أن يقنعوا أميناً أن يرتشي
ما دام هو لا يريد
وزناة العالم كله
لا يمكنهم أن يقنعوا عفيفاً أن يزني
ما دام هو لا يريد
ومتبرّجات العالم كله
لا يمكنهنّ أنْ يُقنعن عفيفة لزمت حجابها أن تتبرّج
ما دامت لا تريد
كلّ شخص فسد أراد أن يفسد
وكلّ شخص استقام أراد أن يستقيم
البيئة مهمة لا شك
وقد تكون عاملاً مساعداً على الإستقامة
وقد تكون عاملاً مساعداً على الفجور
ولكن هذا حال الدّنيا مذ خلقها الله سبحانه
متى وُجد مجتمع ليس فيه لصوص
ألم يقطع الإسلامي في أوج كماله بعض الأيدي

متى وُجد مجتمع ليس فيه زناة
ألم يرجم الإسلام ماعزاً والغامديّة
متى وُجد مجتمع ليس فيه منافقون
ألم يكن ابن سلول يصلي الفجر في المسجد
وهو في الدّرك الأسفل من النّار
سحرة فرعون قُطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف
وصُلبوا في جذوع النّخل
فهل استطاع المجتمع أن يثنيهم؟!
إنّها الإرادة
يمكن خلع الجبال من أماكنها
ولا يمكن قهر إرادة
فلا تتذرّع بعصيانك بقلّة الدّعاة
أنت تعرف الكثيرين من المستقيمين
يعيشون حولك نفس الظّروف
ولا تتذرّعي بتبرّجكِ بسطوة الموضة
أنت تعرفين كثيراً من الملتزمات بحشمتهنّ وحجابهنّ
وهنّ أخبر منك بالموضة !
المسألة ليست مسألة جهل أو معرفة
وإنّما مسألة إرادة !
نحن الذين نختار طريقنا في الحياة
صحيح أنّ طريق الباطل مُعبّد وسهل
وطريق الحق وعر وموحش

ولكن الطريق الوعرة سار فيها كثر رغم صعوبتها
والطريق المعبّدة رفضها كثيرون رغم سهولتها
لهذا بالضبط حُفَّت النار بالشّهوات
وحُفَّت الجنة بالمكاره !

حُسْنُ التّخلص !

روى ابن الجوزي في كتابه أخبار النّساء قال :
ذكروا أنّه لما قتل الحجّاجُ عبد الرّحمن بن الأشعث
وأسر من معه
أمر بضرب رقابهم !
فقال رجل منهم : أيّها الأمير إنّي أتيتُ لكَ بشي
فقال الحجّاجُ : ما هو؟
فقال الرّجل : كنتُ جالساً عند عبد الرّحمن بن الأشعث
فأخذ في عرضك
فقمتُ فناضلته عنك !
فقال الحجّاجُ : فمن يشهد بذلك؟!
فقام رجلٌ آخر من الجماعة يشهد بما قال
فقال الحجاج : اتركوا هذا لدفاعه عنّا
ثم قال للرّجل صاحب الشّهادة : أفلا كنتَ مثله؟!
فقال له : بغضي لك لم يدعني أتكلّم بمثل هذا !
فقال : اتركوا هذا لصدقه !
ثمّ قام رجل آخر وقال أيّها الأمير :
لئن كنّا أسأنا في الخطأ فما أحسنتَ في العفو !
فقال الحجاج ملتفتاً إلى من قتل : أفٍ لهذه الجيف
أما والله لو كان فيكم من يتكلم مثل هذا



ما قتلتُ منكم أحداً !

الدّرس الأوّل:

الإنسان أعمى في حالتين

عندما يُحبّ بشدّة

وعندما يكره بجنون

عندما تُحبّ لا ترى العيوب

وعندما تكره لا ترى الحسنات

ومن طريف ما ترويه العجائز

أنّ سليمان عليه السّلام أعطى البومة قلادة

وقال لها : قلّديها لأجمل طائر

فوضعته في عنق ابنها !

كلّ إفراط في المشاعر مذموم

سواءً كان حُبّاً أم بغضاً

ولكننا نتفهّم الإفراط في الحُبّ

لأنّ الحُبّ عاطفة نبيلة

ونأخذ موقفاً حاداً من البغض المفرط

لأنّ البغض عاطفة مذمومة

ولتوضيح الإفراط في الحُبّ

خذ عندك يعقوب عليه السّلام

أحبّ يوسف عليه السّلام حبّاً جارفاً

ملأ عليه قلبه

حتى أنساه أنّ له أولاداً آخرين

يعقوب عليه السّلام نبيّ ومعصوم
ولكن العصمة للأنبياء في الدّين وفيما يُبَلّغون
أمّا في الدّنيا فيصدر منهم الخطأ البسيط
الذي لا يقدح في أخلاق النبوّة
وأخطاؤهم سلام الله عليهم ليتعلّم منها النّاس
وقد أخطأ يعقوب عليه السّلام بالإفراط في حبّ يوسف وحده
فهو مسؤول عن المشاعر السّلبية التي حملوها لأخيهم
فهم بنصّ القرآن
أرادوا قتل يوسف ليخلو لهم وجه أبيهم
أي أنّ يعقوب أشعرهم أن يوسف عثرة في طريقهم إلى قلبه
أرادنا الله أن نتعلّم أن لا نُميّز بين أولادنا
وإذا أحببنا واحداً أكثر من الآخرين
وهذا شيء من الطّبيعيّ أن يحدث
علينا أن نُبقي هذا في قلوبنا ولا نخرجه إلى العلن
علينا أن نُحوّل المشاعر إلى معاملة
فنحن لا نُؤاخذ بمشاعرنا وإنّما بأعمالنا !
فميل القلب إلى ولد دون الآخرين لا شيء فيه
ولكن عدم العدل في المعاملة ففيه الكثير !
أمّا البغض المفرط فحسبنا فيه إبليس
رفض أمر الله وهو في الجنّة
وأخذ ميثاقاً بطول العمر إلى يوم القيامة
فقط ليجعل آدم وذرّيته شعله الشاغل

ثمّ ما همّه أن يكون الثمن النّار !
على الإنسان أن يملك زمام قلبه
فإذا أحبّ فعدل
وإذا أبغض فعدل
لا يليق أن تسكت عن خطأ من تحبّه فقط لأننا نحبّه
وأن لا نعترف بصواب من نبغضه فقط لأننا نبغضه
النّبلاء لا يرضون الباطل ولو من أحبّائهم
ولا يردّون الحقّ ولو من أعدائهم
والأعرابيّ الذي دافع عن عرض الحجاج إنسان نبيل
رغم أنّه عدوّه وكان يحمل السّيف في وجهه
ولكنّه لم يرضَ أن يُشتم في عرضه
كان يرى أنّ العداوة شيء
والشّهامة شيء آخر
وشهامته لا تسمح له أن يُنال من عرض عدوّه
والحجاج رغم ظلمه وتجبّره
فقد ردّ المعروف بالمعروف
لم يلتفت أن صاحب المعروف معه عدوّه
رأى أنّ النبل أن يرد الموقف بالموقف والنبل بالنبل

.

.

الدّرس الثّاني:

كانوا قوماً لا يُنافقون
يُعرض أحدهم على السّيف فلا يكذب بما في قلبه
يُحبّون بصراحة
ويكرهون بصراحة
إذا أحبَّ المرءُ منهم
عرفت رمال صحراء العرب أنّ فلاناً يُحبّ فلاناً
وإذا كره المرء منهم
عرفت جذوع نخيل العرب أن فلاناً يكره فلاناً
لا يخجلون بحبّ
ولا يجبنون في بغض
يُعرف المرء منهم بأحبابه وأعدائه

.

.

الدّرس الثّالث:

حُسنُ الكلام يؤدي إلى حسن النتائج
والكلام مراكب الرّجال
كل يعبر ماء الحياة على قدر مركبه
يخطب عاقل فيُعتقُ رقبته
ويخطب أحمق فيردي نفسه
يخطب عاقل فتُغمد سيوف

ويحطب أهوج فتثور حرب
يحطب عاقل فيلتئم شمل
ويحطب متسرّع فتُطلق زوجة

ليلى الأخيليّة

قال الهيثم بن عدي :
دخلت ليلى بنت عبد الله الأخيلية على الحجّاج وعنده وجوه
فاستأذنته في الإنشاد . . .
فأذن لها . . .
فأنشدته قصيدةً مدحته بها
فلمّا فرغت قال الحجّاج لجلسائه : أتدرون من هذه؟
قالوا : لا نعلم ، أصلح الله الأمير ،
ولكنّا لم نرَ امرأةً أكمل منها كمالاً
ولا أجمل منها جمالاً
ولا أطلق لساناً
ولا أبين بيانا
فمن هي؟
قال : هذه هي ليلى الأخيلية صاحبة توبة بن الحُمير
ألم تقرأوا قوله فيها :

نأتك بليلى دارها لا تزورها
وشطّ نواها واستمرّ مريرها
ثمّ قال لها : يا ليلى ما الذي رابه من سفورك
حين أنشد قائلاً :



وكنت إذا ما زرت ليلى تبرقت
فقد رابني منها الغداة سفورها

فقالت : أصلح الله الأمير
لم يرني قط إلا متبرقعةً
وكان أرسل إليّ رسولاً أنّه يأتينا
ففطن أهلي لرسوله ، فأعدّوا له وكمنوا
وفطنتُ أنا لذلك
فلم يلبث أن جاء . . .
فألقيتُ برقعي وسفرتُ له
فلمّا رأى ذلك أنكره وعرف الشرّ
فلم يزد أن سلّم عليّ وانصرف
فقال الحجّاج لها : لله درّك فهل كانت بينكما ريبة؟
قالت : لا
إلا أن قال مرةً قولاً ظننت أنّه خضع لبعض الأمر
فقلت له مسرعةً :

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها
فليس إليها ما حييت سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه
وأنت لأخرى صاحبٌ وخليلُ

فلا ، والذي أسأله صلاحك
ما كلّمني بشيء بعدها استربته
حتّى فرّق الدّهر بيني وبينه

الدرس الأول:
ليلى الأخيلية واحدة من أشهر عاشقات العرب
ارتبط اسمها بتوبة بن الحُمير
عشقته وعشقها
عرفتهما صحراء العرب كما عرفت من قبلهم
مع فارق بسيط في سبب الشهرة
فالذي شهر العاشقات أنهن أحببن شعراء
فما كنا لنعرف ليلى العامرية
لو لم يحملها شعر قيس بن الملوح إلينا
وما كنا لنعرف فاطمة بنت عُبيزة
لولا أن امرأ القيس جعلها قصائد
وما كنا لنعرف لبنى الخزاعية
لولا أن قيس بن ذريح هويها
ولكن في حالة ليلى الأخيلية كان الأمر مختلفاً
صحيح أن توبة كان شاعراً
ولكن ليلى كانت شاعرة أيضاً
وحين نجد أن المجنون أشهر من ليلى

والملك الضليل أشهر من فاطمة
وقيس أشهر من لبنى
نجد أن الأخيلية أشهر من توبة!
فلم يصنعها شعره
كما صنعت القوافي من كُل قبلها
قال فيها شعراً كثيراً
وقالت فيه كذلك
وهذه واحدة بواحدة!
كانت ليلى الأخيلية فائقة الجمال
رآها توبة فافتتن بها
وبدأت بهذا قصص أشهر عشاق العرب
تقدم لخطبتها لكن أباها رفض
لأن العرب لا تُزوّج بناتها
لمن تغزل بهن شعراً على الملأ
كانوا يعدون هذا عاراً
زوّجها أبوها من أبي الأذلع
ولكن هذا الزواج لم يطفئ جذوة الحب
ظل توبة يأتي لزيارتها
ثم إن توبة الشقيّ مات على يد أهل رجل
كان توبة قد قتله
ولكن أبا الأذلع طلقها لشدة غيرته
فقط طاف شعر توبة بليلى



وحفظت العرب شعرها به
تزوجت بعده من سوار بن أوفى القشيري
وأنجبت له الكثير من الأولاد
ولما زادت على الثمانين
مرّت برفقة زوجها على قبر توبة
أرادت زيارته رغم اعتراض زوجها
متذرعة بقولة :

ولو أنَّ ليلى الأخيليةَ سَلَّمت
عليَّ ودوني جَنْدلٌ وصفائحُ
لسلمتُ تسليمَ البشاشة أو زقا
إليها صدىً من جانبِ القَبر صائحُ

فلما وصلت إلى قبره
طارت بومة من جنب القبر
فجفل البعير وألقاها عن ظهره
فوقعت وماتت ودفنت بجانبه

.

.

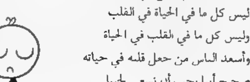
الدرس الثاني:
أدبنا للأسف أدب ذكوريّ
فالعرب كانوا أهل شعر وبلاغة

صغيرهم وكبيرهم مستقيم اللسان
وذكرهم وأنثاهم بليغ الكلام
ولو تأملنا في أسماء الشاعرات
لوجدنا العدد ضئيلاً مقارنة بالشعراء
وحين نعرف الخنساء لأنها علم
فلا نعرف امرأة غيرها وفدت سوق عكاظ
وكان للخنساء أن تندثر
لولا حكم النابغة الشهير
يوم قضى أنها أشعر العرب
فدارت المناظرة الشهيرة بينه وبين حسان
وفي حين نجد الإقبال على شعر الرجال
لم نعرف الأخيلية في كتب المدارس
وعرفنا بالمقابل عشرات الرجال
رغم أن شعر ليلى فنياً مذهل
أقر لها فحول الشعراء
واحتكموا إليها تفاصل بينهم
وقد فضّل الفرزدق شعرها على شعره
وحفظ أبو نواس عشرات من قصائدها
واستشهد بشعرها أبو تمام
واعتبرها المعري أحسن ظاهرة شعرية
ولكن رغم هذا لم تأخذ حظها وحقها
من الشهرة كما أخذه الرجال

الدرس الثالث:



هناك أشخاص لهم متسع في قلبك
ولكن ليس لهم متسع في حياتك!



ليس كل ما في الحياة في القلب
وليس كل ما في القلب في الحياة
وأسعد الناس من جعل قلبه في حياته
صحيح أننا يجب أن نسعى لحبنا
وأن لا نتنازل عنه بسهولة
ولكن الحياة تهزمنا أحياناً
تعطي من أحببنا لغيرنا
وتعطينا لآخرين غير الذين أحببناهم
وليس بالإمكان إقناع القلب أنّ عليه أن يتنازل
عمن خسرناه في معركتنا مع الحياة
ولكن بالمقابل علينا أن نكون واقعيين
العيش في الماضي يُكدّر الحاضر
ويفسد المستقبل
علينا أن نعرف أن الماضي مهما حاولنا فلن يعود
لهذا ليبقَ ما في القلب في القلب
وما في الحياة في الحياة
ما ذنب زوجة إن سبقها بقلبك أحد
وما ذنب زوج سبقه لقلبكِ أحد
عيشوا حاضركم كأن لا ماضي لكم

وحبئوا ذكرياتكم في قلوبكم
الحبن لا يُرجع غائباً
ولكن قد يأخذ منا الحاضرين !

.

.

الدرس الرابع:

الناس يحبون العشاق بفطرتهم
يتعاطفون مع كل قلب أحبَّ
يفرحون بزواج حبيبين كأن لهم من الأمر شيء
ويتألمون لفراق حبيبين كأن الفراق فراقهم
تحضر ليلى عند الحجاج فيسألها عن توبة
وتحضر عزة فيسألها عن كثير
فكن شهماً إذا ما تعلق الأمر بالقلب
لا تأخذ امرأة من حبيبها
ولا تأخذي رجلاً من حبيبته
كسر القلوب مرٌ
وإن استطعت أن تجمع بين قلبين فلا تتردد
لا تكن عندكم تفاهة الأعراب وعنادهم
تعشق المرأة مثلما يعشق الرجل
فلماذا إذا أحبَّ الولد سعينا له بلم شعث قلبه
وإذا أحبت البنت حاربناها؟!
أفضل خاتمة للحب الزواج

صحيح أن على البنت أن تعرف أنها شرف أهلها
ولكن على أهلها أن يعرفوا أنها إنسان
وبئس الأمانة أن يزوجها لغير من اختارت
فقط لأنها اختارت
لماذا علينا أن نعامل بناتنا على أنهن متاع
أو أثاث في البيوت
نحن من نمسك زمام حياتهن وقلوبهن

.

.

الدرس الخامس:

من قال أن الحب يتنافى مع العفة
فما بالنا إذا أحببنا جُنِنّا؟
كل العشاق الذين تعرفونهم
أحبوا بجنون ولولا هذا ما عرفناهم
ولكنهم كانوا عفيفين
وقصة ليلى الأخيلية مع توبة تشهد
عندما كان يزورها بين فترة وأخرى
شكا أهلها إلى الخليفة أمره
فأهدر دمه لأنها تزوجت
وأعراض الناس ليست لعبة
ولكن ليلى لم تستطع أن تقمع قلبها
استطاعت أن تقمع جسدها

فهي لرجل آخر
وما كانت لتعطي جسدها لغير روحها
وعندما كمنوا له يريدون قتله
ماذا فعلت ليلى؟
أرادت أن تُحذِّره فكشفت وجهها
فعرف أن أمراً قد حدث
فمن عادة ليلى أن تغطي وجهها عنه!
أليست هذه عفة؟!
حتى العاشقات الغربيات كن يفخرن بصدودهن
فقد وفدت عزة وبثينة على عبد الملك بن مروان
فلما دخلتا نظر إلى عزة
وقال لها : أنتِ عزة كثير؟
فقالت . لست لكثير بعزة ولكني أم بكر الضمرية !
أبقت ما في قلبها لقلبها
وعاشت واقعها
فبعد أن تزوجت لا ترضى أن تُنعت
أنها امرأة رجل آخر
ولو كان كثير الذي أحبته حد الجنون
أما في العزوبية
فقال لها عبد الملك بن مروان :
أتحفظين قول كثير فيك :

لقد زعمت أنّي تغيَّرت بعدها
ومن ذا الذي يا عزّ لا يتغيَّر
تغيَّر جسمي والخليقةُ كالَّذي
عهدت ولم يخبر بسرِّك مُخبَر
فرأت عزة أن في الأبيات تساهلاً منها
فقالت للخليفة : لا أحفظ هذا
ولكني أحفظ له قوله :

كأني أنادي صخرة حين أعرضت
من الصم لو تمشي بها العصم زلتِ
صفوحًا فما تلقاك إلا بخيلة
فمن مل منها ذلك الوصل ملتِ

تروي للخليفة شكوى إعراضها عن حبيبها
وتستشهد بقول حبيبها
أنها هي التي وضعت أساس التعامل بينهما
وإنه إن أراد غير هذا فشأنه

.

.



الدرس السادس:

من أحبَّ حمى!

حمى حبيبه ليس من الموت فقط

وإنما من كلام الناس أيضاً

فبمقدار الخوف على الآخر يُعرف الحب

وأحياناً فضح إنسان كقتله فما الإنسان إلا سمعة

فدعكم من التباهي

يتباهى الشاب أن عنده حبيبة

وتتباهى الفتاة أن عندها حبيباً

ما خُلق الحب للمباهاة

خلق لنعيشه بيننا وبين أنفسنا

ومن طرائف العشاق في الكتم والحماية معاً

أن شاباً من الأعراب أحب فتاة

ولما غلب عليه الشوق أراد رؤيتها

فجاء مضارب أهلها لينظر إليها من بعيد

فظنوه من أعدائهم

ولهم عداوة بقبيلة أخرى

فلما عرضوه على السيف بتهمة أنه جاسوس

رفض أن يدافع عن نفسه أمامهم

ويقول لهم : أنا أحببت ابنتكم

وعندما استل أخوها سيفه ليقطع رأسه

صرخت البنت وقتها أن توقفوا

وقصت لأبيها الحكاية
فما كان منه إلا أن أكبره
وقال له · أما وقد كدت تموت في سبيل شرفها
فلا تكون لرجل غيرك
وعقد زواجهما

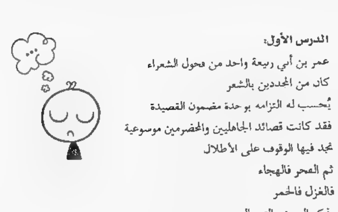
عمر بن أبي ربيعة

روى ابن الجوزي قال :
بينما عمر بن أبي ربيعة في الطواف
إذ رأى جارية من أهل البصرة
فأعجبته ، فدنا منها وكلّمها
ولكنها أعرضتْ عنه ولم تُجبه
فلما كان في الليلة الثانية ، عاودها
فقالت له : إليك عني أيها الرجل
فإنك في موضع عظيم الحرمة!
فألح عليها وشغلها عن الطواف
فخرجت من صحن المطاف
ثم أتت زوجها وقالت له :
تعال معي ترينى المناسك!
فأقبلت وهو معها وعمر جالس في طريقها
فلما رأى الرجل معها عدل عنها
فأنشدت قائلة :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له
وتتقي مربض المستأسد الضاري

فبلغ المنصور العباسي خبرها
فقال: وددت لو لم تبقَ بنت في خدرها إلاّ سمعت خبر البصرية
من عمر!

.



الدرس الأول:

عمر بن أبي ربيعة واحد من فحول الشعراء
كان من المجددين بالشعر
يُحسب له التزامه بوحدة مضمون القصيدة
فقد كانت قصائد الجاهليين والمخضرمين موسوعية
تجد فيها الوقوف على الأطلال
ثم الفخر فالهجاء
فالغزل فالخمر
فذكر الصيد والترحال
ثم نُتفاً من الحكمة متناثرة في الأبيات
أما عمر فكان أحد الذين جعلوا للقصيدة غرضاً واحداً
يسير بقصيدته في موضوع واحد
ومما يؤخذ عليه أنه على كثرة غزله
لم تُعرف له حبيبة واحدة كعشاق العرب
فإن أعرضتْ لبنى
كتب غزلاً في بثينة
وإن صدته بثينة

تعرّل بليلى!
لا يمكث على امرأة أبداً
كان عفيفاً على كثرة عبثه بالقوافي
ويوم نام على فراش الموت بدأ يستعفر
فقيل له : طلب رحمة بعد كل هذا؟
فأمسك إزاره وقال : والله ما فككته على حرام قط!
ومما يُحسب له أيضاً
أنه من الفئة الذين لم يتكسبوا بشعرهم
والتكسب بالشعر إحدى أسوأ الظواهر التي عرفها شعرنا العربي
فعله أكثر القوم بلا وازع
من النابغة إلى المتنبي
ومن الثالوث الأموي إلى الجواهري الحديث!
أما عمر فأمسك عن هذا كله
ويوم أرسل إليه عبد الملك بن مروان ليمدحه
قال له : عمر لا يمدح إلا النساء!

.

.

الدرس الثاني:

البعض لا يراعون حرمة المكان
ولا يعرفون أن لكل مقام مقالاً
إذا شُغف بأمر فعله ولو في الحَرم
كالأعرابي الأحمق الذي شعفته الشهرة

فأراد أن يُعرف بين الناس
ولمّا كان صفراً من كل شيء
جاء إلى ماء زمزم وبال فيه
فانهال عليه الناس ضرباً
وأنقذه حُراس الحرم في آخر رمق
ولما رُفع إلى الأمير قال له :
قبّحك الله ما حملك على هذا؟
فقال : أردتُ أن يقال هذا الذي بال في ماء زمزم؟
وكان ابن أبي ربيعة على هذا
كانت تعرفه العرب كلها
شريفهم ووضيعهم
يحفظ شعره الأمراء والعبيد
وخبره عند الأمراء والعامة
أينما حلّ تغزّل
ومتى ارتحل تغزّل وتحرش
ولكنه لم يراع المكان ولا هيبة الموقف
عند البيت أطهر بقعة في الأرض قاطبة
يتعرض لامرأة وهي تصد عنه
ثم لا يفك إزاره على حرام
شهوة الشعر وشبق الكلمات!
يقول أحد التائبين :
كانت توبتي بسبب امرأة حسناء

اعترضتها في الطواف فقالت لي:
يا هذا جئنا من آخر بقاع الأرض
لنغسل خطايانا هنا
فأين ستغسل أنت خطاياك!
نزلت هذه الكلمات عليه كالصاعقة
وانقلبت منذ تلك اللحظة أحواله
وإن كان له شرف النهاية
فإن له سوء البداية
ولكل مقام مقالاً
ولكل مكان هيبته
.

الدرس الثالث:
ميل الرجال إلى النساء فطرة
وميل النساء إلى الرجال فطرة كذلك
غرسها الله فينا لتستمر الخليقة
ولتعمّر الأرض
ولكننا بشر وعلينا أن نرتقي بفطرتنا
لسنا ثيراناً أي بقرة تفي بالغرض
ولسنا بقراً أي ثور يسد مكان آخر
هناك قلوب تختار
وهناك كرامات يجب أن تُصان

وهناك عفة يجب أن تُراعى
الأسد ملك الغابة ليس لأنه قوي فقط
بل لأنه شهم وكريم
فلا يقع على صيد غيره ولو مات جوعاً
وإذا ترك شيئاً من فريسته
فلا يرجع إليها أبداً
بعض البشر ليس فيهم شهامة الأسود
بل شره الضباع
كل لحم أمامه طعام له
وكل جيفه متروكه له حق فيها!
الإعجاب يقع من النظرة
ولكن الله جعل فينا عقولاً وإرادات
الإنسان الذي تجعله النظرة ضبعاً
هو أشرّ من الضباع
لأن الضباع خُلقت هكذا
حيوانات قمامة همهما أن تقتات
أما نحن فقد خُلقنا بقلب
كي نحب برُقيّ
وخلقنا بعقل كي لا نقع على لحم ليس لنا
.

الدرس الرابع:

كل شيء بالقوة إلا الحب
الحب إما يُعطى عن رضا أو لا
البعض ثقلاء لا يزيدهم الصد إلا إصراراً
ولا يزيدهم المنع إلا مثابرة
فلا فيهم كرامة البشر
ولا فطرة الحيوانات
هناك نوع من الطيور يعيش في جماعات
يهاجر معًا ويقيم معاً
فإذا جاء موسم التزاوج
عرضت الذكور أنفسها على الإناث
كما يخطب أحدنا امرأة
فيأخذ الذكر حبة قمح
ويضعها أمام الأنثى التي أعجبته
فإن أخذتها فهي إشارة أنها أرادته
وإن لم تأخذها فقد رفضته
عندها يتركها ولا يقربها ما دام حياً
ألسنا أولى بهذا الرقي ونحن بشر؟
ليضعْ أحدنا حبّته ثم ينظر

الدرس الخامس:

هناك مستحضرات تجميل لا تُباع في المحلات

وهي أجمل من كل ما يُباع

الأخلاق عطر الرجال

والحياء عطر النساء

أجمل كحل للمرأة غض البصر

وأجمل ثياب للرجل العفة

لا زينة أجمل من الأخلاق

تكون المرأة فاتنة

فإذا استرجلت كرهها الرجال

ذلك أن الأنوثة مستحضر تجميل وعال

ونرى الرجل وسيماً

فإذا كان زير نساء

ما لبث أن يصبح عادياً

لأن العفة كما هي زينة للنساء

كذلك هي زينة للرجال!

.

.

الدرس السادس:

القصة أمتع وسائل التربية!

المفاهيم المجرّدة شاقة

ولكن إذا ما صارت قصة أخذتها النفوس بترحاب

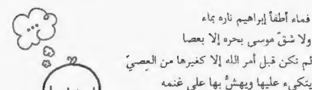
لهذا أراد المنصور أن تعرف كل امرأة
ما فعلت المصرية مع عمر بن أبي ربيعة
وقبل المنصور وبعده
ليس أدل على سطوة القصة في التربية
من كثرة ورودها في القرآن
فثلث القرآن الكريم أو أكثر قصص
أراد الله بهذا شيئاً أرفع من التسليه
وغرضاً أشرف من الترويح عن النفس
ألا وهو التربية
فعندما يحدثنا عن ابني آدم عليه السلام
فلينهانا عن الحسد
وعندما يحدثنا عن الغراب
فليعلمنا الدفن
ويخبرنا أن الإنسان عندما يستحوذ عليه الشر
أحط من الحيوانات!
وعندما يحدثنا عن حوت يونس عليه السلام
فليعلمنا أن الله إذا أراد نجاة إنسان أنجاه
ولو في بطن حوت مفترس
وإذا أراد موته قبضه ولو على فراشه
وعندما يحدثنا عن حمار عُزير
فليخبرنا أنه يُحيي الموتى
وأنه سبحانه لا يُعجزه شيء

وعندما يحدثنا عن بقرة بني إسرائيل
فليعلمنا أن المال شهوة
وأن الإنسان قد يقتل لأجله
وعندما يحدثنا عن قصة نوح عليه السلام
فليعلمنا المثابرة في الدعوة
وعندما يحدثنا عن يوسف عليه السلام
فليعلمنا أن نعدل بين أولادنا في المعاملة
وأن يوسف نجا من الذئب
ولكنه لم ينجُ من إخوته
وأن العفة تنتصر على الشهوة
وأن الخروج من المأزق يكون بالعمل
لا بالأماني
وأن الكريم إذا ملك عفا!
وعندما يحدثنا عن موسى عليه السلام
فليعلمنا أن الأعمار بيد الله وحده
يذبح فرعون آلاف الأطفال
ثم يربي في بيته الطفل الذي أراد أن يذبحه
وليعلمنا التضحية في سبيل المبادئ
فالسحرة صُلبوا وصلوا مؤمنين
وليحذرنا من الإيمان الزائف
وليخبرنا أن البعض فيهم جحود
يشق لهم البحر بعصاه

فإذا غاب عنهم عبدوا العجل!
وليعلمنا أن نعترف بفضل الآخرين
فموسى اعترف أن هارون أفصحُ منه لساناً
النبلاءُ يعترفون بإمكانيات غيرهم
وعندما يحدثنا عن صاحب الجنتين
فليعلمنا أنه بالشكر تدوم النعم
وأنه من اعتمد على ماله افتقر
وعندما يُحدّثنا عن مريم وزكريّا عليه السّلام
فليخبرنا أن الأسباب تجري على النّاس ولا تجري على الله
يهبُ لامرأة عذراء نبيّاً
ويمنحُ لشيخٍ طاعن في السّن آخر!
وعندما يحدّثنا عن إبراهيم عليه السّلام
فليخبرنا سبحانه بجبروته
فالنّار لا تحرق دون إذنه
والسّكين لا تذبح إذا لم يشأ!
وعندما يُحدّثنا عن النّملة
فليعلمنا أن نكترث لقومنا
وأنّ النبيل لا ينجو بنفسه فقط
وعندما يحدّثنا عن الهدهد
فليعلمنا أنّ بإمكان كلّ فرد أن يعمل في الدّعوة
وعندما يُحدثنا عن النمرود
فليعلمنا مجابهة الطغاة

وأنْ نُذكّرهم أنهم ذرّة في ملكوت الله
وأنّ كل شيء في الكون جنده
يذلّ النمرود ببعوضة
ويثأر لنوح بالماء
ويساندُ موسى بالضفادع والقُمل والجراد والدّم !
ويفكُّ حصار الشّعب بحشرة
تأكل الوثيقة إلا «باسمك اللهم»!
ويحمي بيته بطير صغير
وعندما يحدّثنا عن فرعون
فليخبرنا أنّه سبحانه يمهل ولا يُهمل
لا يُعصى عن ضعفٍ منه
ولكنّه جعل الأرض امتحاناً
يعصي فيها العاصي بملء إرادته
ويطيع فيها الطّائع بملء رغبته
وعندما يُحدّثنا عن قارون
فليخبرنا أنّ المال لا يشتري الجنّة !
وعندما يحدّثنا عن طالوت وجالوت
فليعلمنا أن القلة المؤمنة تنتصر حتماً
وأنّ النّاس لا تنتصر بالسّيوف والرّماح والبنادق
ولكنّها أسباب ليس إلا
إذا ركن النّاس إليها تركهم لها
وإذا ركنوا إليه نصرهم مهما كانت قوة الفريق الآخر

فماء أطفأ إبراهيم ناره بماء
ولا شقّ موسى بحره إلا بعصا
لم تكن قبل أمر الله إلا كغيرها من العِصيّ
يتكىء عليها ويهشُّ بها على غنمه







حديث المساء

أدهم شرقاوي

في كلّ شخص تعرفه شخصٌ لا تعرفه !
ووراء كلّ قصةٍ تعرفها قصةٌ لا تعرفها !
ويجانب كلّ حدث تراه حدثٌ لا تراه !
هذا الكتاب قراءة مختلفة في الأشياء
يحاول أن يريك الشخص الذي لا تعرفه في الشخص
الذي تعرفه !
ويحاول أن يعرّفك على القصة التي لا
تعرفها في القصة التي تعرفها !
ويحاول أن يريك الحدث الذي لا تراه في الحدث
الذي تراه !

